الى الامام

محمد عزيز الحبابي

لقد أظهر أخونا الاستاذ عبد الكريم غلاب، فى افتتاحية العدد المتقدم، الشروط اللازمة لازالة الانقاض كيما تسبح أقلامنا فى آفـــاق من الثقافة الحق ، وتأتى اليوم هذه الافتتاحية تتمة لسابقتها .

* * *

ان الجودة فى الابداع تتجذر فى ثبات العزيمة، اما المنخدعون بذواتهم، من اصحاب العجب والتيه والزهو ، فلن يتفتح قلبهـــم على ألفة وشغف بلهيب من حماس خلاق، ولا فكرهم على حسن الظن .

لقد التزمت أسرة «آفاق» بمهمتها ، وأقامت الدليل على ذلك طوال سنة من عمر المجلة ، حتى تمت غلبة الالتزام على بالنا جميعا ، فعدنا نحيا برسالتنا لصالح شعبنا ، شعوبنا ، ولو بمسكة من الصدق فى القول وتحمل مؤونة صدق القول ، واحترام حرية وآراء كل كاتب .

* * *

فليقل كل واحد الحقيقة عارية ، لان دفئها فى صميمنا : انها البركان الذى لا ينقطع انفجاره ، والمثقفون سدنته وحماته ، فى تلاحق الاجيال ، كل جيل بمشاكله واحلامـه ، وصراعاته . فـ «أدب» التقليد ليس أدب وفاء للاجداد ، بل خيانة للاحفاد .

ان كل أدب لا يساهم فى خلق المستقبل ، ولا يجعل من الانتاج موجها للانطلاق المصيرى ولقفزات نمو الفرد والامة ، انتاج لن يستخلص سمات

ما يؤنس التاريخ ، ولن يسمو بالامة الى الفترة التى وصل اليها الفكـــر العالمى ، ولن يرهف الاحساس ويقوى الوعى ويدفع الى العمل . فعملاقية الاديب انه يموت ليبقى الادب خالدا : يتعشق الصراع من اجـــل تحرير الآخرين ، ويتحدى الظروف ، متخطيا العراقل والاعراف احتراما منـــه للصيرورة ، وتقديرا لرسالته وتقديسا للحرف . فما «مضى فات.» ، والمؤمل حق ، واما الساعة التى هو فيها فملك له بقدر ما يعمل ليتملكها الجميع . ان انتفاضات الادب الاصيل لا تحد : انها حلقة من حلقات الثورة الابدية .

* * *

انها كذبـة ان يقال ان الاديب الحق غريب بين أهلـه . فى الادب تلتمع الكلمات فى الضمير الجماعى ، وفى الفكر ، وتتبلور المعانى فى روح المواطنة فتتقوى وتتفتح على آفاق الشمول .

* * *

كل أدب لا يرمى الى أبعد من المناسبات ، ولا يعمل على تغيير العادات يبقى «أدب معدة» ، ويبقى «الاديب» مفكه الخواص ، كما يحترف آخرون تفكيه العامة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

الاديب أديب عند ما يصبح الرائد الامين ، يوجه الجموع التوجيه الافضل لتتعرف على ذاتيتها ومقومات حياتها ، فيحصل تفاهم ، ثم تعاطف بين الشعوب لتسير جميعا ، فى تعاون ، الى الامام .

آفاق الفكر ورسالته

المهدي محمد عبود

لو صح استعمال الخاتمة كمقدمة لقلنا ان الفكر منظار الحق الذى كل وقت هو فى شأن تتعدد احواله ومظاهره الى ما لا نهاية له ولهذا تكون آفاق الفكر لا نهاية لها وان ميدان رجال الفكر خصب الانتاج بلا انقطاع وان مسؤولية الكتاب تعظم بقدر أهمية الفكر ووظيفته فى المجتمع .

والفكر دائما ملتزم اذا نظرنا اليه بتدقيق ـ مطابقته للواقع المتغير مظهر تخوله نفس المرونة ونفس التعدد والتلون الذى يكسبه الواقع . فالمدارس الادبية والفلسفية والفنية والنظريات العلمية ـ والاقتصادية والسياسية لا تخلو من جانب من جوانب الحقيقة او قل هى تعبير عن جانب او بعض جوانب الحقيقة ولذلك يتعين احترام الآراء والافكار عند عرضها على المجتمع خصوصا اذا كانت بناءة وايجابية .

فنظرية الفن للفن هى فى الواقع التزام بصيغة الجمال المتجرد ، ونظرية الفن للشعب هى فى الواقع التزام بصيغة الخير النزيه ، ونظرية الفن للحق هى فى الواقع التزام بصيغة الشمول الاطلاقى الذى تدخل فى كنفه الصيغة الاولى والثانية .

ان من يرجع الى الفكر العميق الثابت يرى ان الانسان وصل اليوم الى درجة وجوب نظرة الشمول المذهبية . ولكن هذا لا يفيد التعصب والاكراه اللذين يموت بهما الفكر وينحط انتاج الكتاب ، بل كل مذهب لا يحترم حرية العقل يطمس هذا العقل ، وان ما نعنيه بالشمول هو تعدد مظاهر الحق وربطها بخيط واحد يوجهها نظرا لاحتياج الانسان الى التربية ثم يفرغ بوحدة المذهب حلة الطمأنينة والسكينة على النفس .

والتعدد يتأصل داخل الوحدة الفكرية وضمن اطارها ، من عنصرين الاول هو غزارة ميدان الحق واختلاف مظاهره التى تخلق الشاعر والكاتب والموسيقى والفنان والفيلسوف والعالم والسياسى والاقتصادى الخ. والثانى اختلاف العقول حسب قول الشاعر حين يقول : «انما الناس فى اختلاف عقول مثلما الناس فى اختلاف الوجـوه» . ـ فالقرائـح تختلف باختـلاف العقول ، وبسبب هذين العاملين تكون آفاق الفكر خالدة التجلى والعرض.

ان ميدان الكتاب واسع فيه المتشابه وغير المتشابه ـ. ووظيفتهـم لها الاسبقية على كل شىء رغم قول غوتة انه فى البدء كان الفعل بدلا من قول الانجيل فى البدء كانت الكلمة .ـ الحقيقة فى اجتماع عالم الخلق وعالم الامر والحياة ادراك وعمل بل هى ثورة الكون المستديمة على عالم الفساد بعد فهمهما معا ـ كم من واحد من رجال الفكـر يغوص على أنفس المعانـى ويتخلق بما يقول ليكون المعنى والمبنى شيئا واحدا مثل أى كاتب يدخل انتاجه فى دائرة المذهب الشامل والذى يومن به فى سلوكه لتوحيد القول والعمل والكلمة والفعل . وكم من اديب او شاعر يتبع اللهـو واللغو او الارتزاق او ميوعة العصر او يذهب ضحية بئر تحت نير الانحلال والاضمحلال فيقول ما لا يصدقه قلبه وعقله وضميره لانه منعزل عن الوجود غير ملتزم بفكرة نظام الوجود . فلا يبقى من تاريخ الرجال الا التراث الصحيح من أمهات الكتب ، اما الباقى فيتلهى به الناس ويستأنسون به فى وقته لانه كيفما كان الحال يعبر عن بعض جوانب الامراض الاجتماعية ثم لا تعطاه بعد ذلك قيمة فوق الاستحقاق .

فالغوص عن الجواهر الكونية والقيم الانسانية العالية والمحافظة عليها هى ميدان رجال الفكر بجد وامانة .

فأى شىء اثمن من الحقائق الكونية والنفسية وحفظها ؟ واى موقف فكرى أجل ولا أجمل من صدق الحال العقلى والنفسى فى ميدان الفكـر ؟ وهل من جهاد أسمى من تحطيم الاوثان ؟ هل من رسالة أبلغ من تبديد الظلام ؟ هل من لغة افصح من تحرير الصدور ؟ هل من غاية اشرف من تطمين النفوس ؟ وأى الناس أسعد ممن ملك نفسه بعد التيه والضلال ؟

واى الاعمال أرقى من ثورة الفكر وابداع الفن وتشريع الحق وتدليل الصعاب وتشييد الصروح ؟

منذ ان تقمصت النفس فى كثافة الجسم وهى فى ضيق لاسترجاع آفاقها الاصلية ذات الصبغة الاولى الصافية المبثوثة على بساط المثل ، فلا يخمد أجيجها تمويه ولا يشفى غلتها تكابر ولا يرضخ قلقها ايحاء ولا ايهام .

ان هى الا حقيقة الحقائق طبعت على حب امثالها وبها تلقب الانسان بالعالم الاصغر .

والانسان من حيث هو عالم اصغر لا تحد آفاقه ولا يفتر شوقه لادراك آفاقه الدائمة الاتساع والتمديد بالحق والابداع والتطور والتجديد رغم غصة الفساد بعد الكون .

كل شىء فى الوجود من انسان وكون بمثابة كائنين من اغرب الكائنات اذ فى نفس الوقت يتحابان ومتلازمين يتصارعان ، هما فى ملقى السبيل يتحابان جبرا واختيارا معا لان الواحد لا يتصور بدون الآخر ، فالانسان لا يتصور بدون بيئته الحية والجامدة ، والكون لا معنى له بدون عقل الانسان وجوارحه . بينهما مطاوعة التأثير لكن الانسان يمتاز بتفوق التصريف وهو فى ذلك لسان الدهر وبه فى كثير من الاحيان يخرج الوجود من القدرة الى الفعل فى عالم الامكان الذى لا ساحل له ولا غور .ـ

وبما ان النفس فردية كانت او جماعية هى ايضا غير متناهية الامكانيات والمعانى والمظاهر والاحوال فان آفاقها لا حد لها ولا حصر الا بوقوف الحياة لكنها تكسوها الكآبة لما يخيم الجهل بتعدى الحدود وانحراف المعرفة ويغلب القبض على البسط وتتداعى أركان الامة حسب سنن الاخذ والمؤاخذة اى لما تنحل الجماعة بانحلال الافراد فى سائر ميادين الحياة بدون ادنى استثناء ، فينتشر الظلام بسبب الرفض والاستكبار وعلى صور الجهل المركب والخوف وسوء الاتكال والتهافت والتكاثر بغير حق وعلى صورة الاعتماد على الغير او شراء الضمائر او اهمال الواجبات او تقليد الاسياد او فتنة الناس بعضهم لبعض او تخضرم المعارف وتشويه

العرفان او على صورة الاستهتار والشقشقة والسطحية وهكذا دواليك حسب آفاق الظلمات التى تتراكم بعضها فوق بعض فى تواتر وتتابع قاهر مستمر ... ومعلوم ان صلاح العقل يتجلى فى سائر جوانب الحياة وفساده يظهر فى الصغيرة والكبيرة .

غير ان النفس مستقلة بحريتها ومسؤوليتها ، اذ الامانة عظيمة لم يحملها مخلوق غيرها وهى بحريتها ورسالتها اما مقصرة او مجتهدة فهى واعية ترقبها عين الضمير سواء كانت أمارة او لوامة او مطمئنة او راضية لا تنزل عليها السكينة حتى تكون مرضية بتجانسها مع النواميس الظاهرة فى الكون والباطنة فى الصدور حيث القلب الذى بصلاحه او فساده يصلح او يفسد المجموع المكون باجتماع الفرد مع غيره ومع الكون . وبالجملة فان ميدان النفس هو الآفاق اللانهائية .ـ

والوعى عندها عتبة الوجود الاولى مثلما هو الحال لدى الطفل والقبيلة والمدينة وبه تتم النهضة والنمو وبدونه يثور الضمير ويتغلب القوى على الضعيف ويتقهقر الظالمون ، اذ الظلم ظلمات علما وعملا فلا يتسلط قوى المعنى على ضعيف المعنى ويستعبده ويستغله استغلالا ماديا الا بجهل ضعفاء العقول نظرا لخصوصية الاضداد فى جدلية الحق . فالمعلوم وليد الشعور بالمجهول واليسر تابع للعسر والقوة بنت الغريزة والحذر والتغيرات العظمى نتيجة الحروب الطاحنة والانسان فى خضم الحياة تواق لسبر الاغوار النفسية والعالمية ، وهو فى سيره ان كان واعيا يتفطن لاتساع الآفاق واستمرار السفر وسرمدية المجهود كأن الآفاق امواج بحر لا ساحل له لا تموت السابقة منها الا بازدياد اللاحقة دون توان ولا وقوف ـ ولو أن عالم الاضداد خاضع لاحكام الاعيان الثابتة .

لنضرب بالشعر مثلا من الادب انتاجا لرجال الفكر . فالشعر الصادق وهو مع الفن اول وسائل التعبير يتغذى من وعى الابصار الباطنة التى فى الصدور ومن وعى الضمير الحى الذى يضرب الحساب لمحيطه وبيئته ويتجاوب معها لا يفوته ان مهمته هى المعرفة الدافعة للانتباه والادراك الفنى الشامل يكتسى حلة زمانه ويعرب عن آمال الاجيال واشواق الروح ومحن

الحياة وهو فى استلهاماته ينتصر لابطال القوة والذوق والمعرفة والتدبير والمخاطرة يستمد وحيه من اعماق المجهول وبعيد الآفاق ويعتبر الوقوف موتا وعدما . فى قبر الادب الرخيص فهو لا يرى حدودا لآفاقه الا اذا اصبح شعرا كاذبا كالبضائع المعروضة للبيع مع ضمائرها كقصائد الطمع والتملق والنفاق والعناد والغلو والتظاهر بالابتكار والتفوق وغير ذلك . اما صدق العبارة وخلود التراث الادبى تابع لصدق الشعور منبع الابداع . وقديما قيل ان الاسلوب هو الانسان وقيل ان المرء مخبوء تحت لسانه .

فالآفاق لرجال العلم والادب والفن والفلسفة هى بطبعها لا نهائية تتسع باتساع النفس والكون وشرط الابداع هو صدق الحال لصدق المقال.

وبما ان المظاهر النفسية والكونية مترابطة يتجلى فيها البعض فى الكل وبالعكس ، فان الصدق لا يخلو من اوصاف الشجاعة ، ولذلك كانت أثبت واصدق المذاهب ما اجتمع فيها القول والعمل . فكلما تقدم وعى الانسان واتسعت آفاقه الا واقترن العلم بالعمل والا صار السلوك كاذبا والانسان ناقصا والفرد معزولا عن مجتمعه والنفس غريبة عن بيئتها . فلا عجب من كون الاديان والمذاهب كالماركسية مثلا تثور على العلم بلا ضمير. ـ اذ بين الافراد والجماعات تبادل او مطاوعة على حد تعبير النحاة ـ نقطة الوصل بينهما النفس الواحدة بأدق معنى الواحدية التى خلق منها الانسان. فالامة تتقوى بابنائها وهم يترعرعون فى كنفها معرفة وسلوكا ـ التربية منها جملة والتدبير غالبا منهم ـ ومن اهم شؤونها ان لم يكن أخطرها ميدان الفكر . وما رجال الفكر الا مقياس مستوى الامم وميزان القيم فيها او قل معيار قيمتها .

فهى تنمو وتتقوى بحسب قدر المفكرين ومقدارهم عندها . اما تبقى مستديمة الشباب ولو طال عمرها بفضل جهاد الفكر وصدق المرمى المعنوى فيها واما تتبادر اليها الشيخوخة والهرم ولو كانت حديثة التكوين اذا تغلب عليها سلطان المال والجاه والخرافات والخوف والفساد والاعتماد على الغير تكاسلا ـ ان فطاحل الشعر والقصة والفلسفة والعلم والسياسة والاقتصاد هم ابناء العصور الفتية الزاخرة بالشباب وهم فى نفس الوقت آباء تلك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العصور . لان الفكر فى آن واحد ترجمان الآراء السائدة وحارثها ومخصبها وزارعها من جديد فياتى المفكرون يساهمون بدورهم فى البناء والتجديد كيفما كان رد الفعل فى زمانهم الذى يمكن ان يمارى حتى فى حقيقة دوران الارض وكرويتها مثلما حدث لغليليو .

فالشجاعة من خصال الشباب الذى من أبرز صفاتـــه ايضا التفاؤل والارادة بقوة العزم وحسن الاختيار .

واى دور لرجال الفكر اسمى واجل من المساهمة فى نمو الانسان لاكتمال الشخصية الفردية والاجتماعية قصد اداء الامانة العرفانية والتدبيرية على السواء . فالاديب والشاعر والفيلسوف والعالم والسياسى والاقتصادى عند ما تتأجج فى صدورهم نار المعرفة بصدق واخلاص عاملين على اكتشاف الحق والحقيقة لذاتها لمصلحة الانسان ، يكون كل واحد منهم يساهم بكيفية فعالة فى توسيع الآفاق فى المعرفة والكرامة والرخاء . وقد قال بعضهم ان المصلحة تابعة لطريق الحق . وزد على ذلك الجمال والخير كوجهين للحق .

والشخصية لا يكتمل بناؤها الا فى عنفوان العمر اى فى ظروف النمو، ومن الممكن انه توجد نفوس شبان فى اجسام الشيوخ ونفوس شيوخ فى أجسام الشبان لانه كما تعلمون من خصال الشيخوخة الحرص وطول الامل. ورجال الفكر المتقاعسون او المغرضون ليسوا من وقتهم حيث فاتهم الركب وكأنهم على الهامش يعيشون ظروفا غير ظروف بلادهم لتلاشى الضمائر .

ذلك ان الطبيعة مبنية على نظام ظاهر مثل المقادير الثابتة والتناسل والتكاثر ، ونظام باطن مثل مبادىء العقل والتوافق او الانسجام والنواميس الاخلاقية وغيرها . والحياة الفكرية كرأس المال لا تعرف الوقوف اما تنمو او تموت .

فمن حاد عن سنن الطبيعة المادية آل الى الاضطراب المرضى ومن زاغ عن قواعد الاخلاق والاجتماع واهم ما هو معروف فى الاقتصاد كان مصيره الاختلال فى سائر فروع العمران ماديا ومعنويا اى فى الانتاج والسلوك والتدبير والتعاون والتضامن ، وبالجملة يؤول الى التدهور . ومما يزيد فى الطين بلة هو ان الامراض الاجتماعية من انقسام ورشوة واهمال وارتجال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مثلا هى فى نفس الوقت جريمة وعقاب بمقتضى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم. وان رجال الفكر غير مستقلين عنها بل هم صورتها.

ومن هنا يظهر ان نقطة الانطلاق هى بيد رجال الفكر الذين يبتغون البحث عن الحق ومنافعه الضمنية لا لشى غير الحق شعـرا ونثـرا وفنا وموسيقى وفلسفة وعلما وهلم جرا .ـ حتى تنتفض الجماعة من الخمول والاستكانة والغفلة والتمتع الناتج عن مزيج من الغفلة جهلا والخوف نظرا للفراغ المعنوى من اى نوع من انواع الايمان والعقائد .

ونقطة الانطلاق هذه هى قبل كل شىء ايمان بالنفس ونظامها والكون ونظامه والعقل ونظامه . ومجموع هاته الانظمة يلتقى فى فكـرة العليـة بالسبب الاول حتى لا يكون الانتاج كالحياة أجوف فارغا .

وكيف يتسنى لرجال الفكر ان يؤدوا الامانة اذا لم تمسسهم نار الحق بضغط الاختيار فيقوم الشاعر كبوق للزمان والاديب كمصور ومنذر وواصف والفيلسوف كشارح ومنظم والعالم كفاز من غزاة المجهول والسياسى كمصلح لمشاكل الجماعة والمشرع كحارس لكرامة الانسان وهم كلهم فى تلاقيهم وافتراقهم واتفاقهم واختلافهم يتبعون سبلا متنوعة لغاية واحدة يجتمعون عليها وفيها وهى لغة الحق الذى لا ينضب ولا تحد آفاقه الدائمة التنوع والثمرات لان عالم الخلق والامكان من قبيل الاطلاق لا حصر له .ـ

وكيف يتصور الابداع والارتقاء اذا لم تكن هناك نقطة انطلاق فـى النفس حتى تتغير الاشياء بتغير النفوس ؟ واى نقطة انطلاق يمكن وجودها بدون قاعدة تقوم عليها ؟ فمن اراد ان يبصر لا مفر له من الرجوع الى النفس قصد الفكرة والارادة التى تنطلق منهما الحيـاة سواء على بساط التطـور او على اساس الثورة والمتمعن فى اللفظتين (التطور والثورة) لا يجد بينهما الا فرقا لغويا لا غير فى الانتاج العبقرى الفكرى .

ولا مثال اجلى لهذا المعنى من الحركات الدينية والفلسفية والثورية والانقلابات العلمية والمدارس الادبية التى يختار اصحابها فكرة اساسية يومنون بها ثم يخرجون منها كنقطة انطلاق فيجتمع عليها الاتباع والمنشدون والمفكرون والضحايا والابطال الى ان تنقلب الى ثقافة ونظام وحضارة باسم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحرية الروحية او المادية او هما معا . والحرية هى أقرب الى التحرير منها الى الفردية الفوضوية التمتعية . ولم يكن وما زال قلب المبدع الا متأججا بمسرات الاحزان لا تميته اللذة وحدها ولا ينهكه الالم وحده ككل مؤمن ينشر نظريته لاسعاد البشر ينفق فيها الغالى والرخيص والصحة وغيرها يعيش لفنه ويموت من اجله .

ان آفاق النفس والكون بمثابة شواهق الجبال لا يستطيع الصعود الى بعض قممها الا المخاطر المؤمن . فهى ايضا «ذات تعزز وتمنع». و لاتفتح صدرها الا لصادق المسعى والصدق بهذا الصدد هو التطابق : النفس مع النفس والنفس مع الكون .

وهذا التحرير ما هو فى الواقع الا افضل وسيلة للحياة الصادقة التى يعمل رجال الفكر على ارساء قواعدها . فالعلماء والادباء والفلاسفة والانبياء لم يتركوا تراثا مكتوبا فحسب للتلاوة والتعليم ولكنهم اجتهدوا فآمنوا فسلكوا فغيروا وجه محيطهم وسير العالم من اجل دفع الناس بالناس ودفع الفكر الى الامام عن طريق التكامل ايقاظا للهمم .

فالعقول الجبارة تبنى على خير مخلفات تراث الماضى المتسلسل ولا تقلد مظاهره اى انها تتبع خيط الحقيقة الذى لا ينفصم وتثور بالعكس على روح التقليد الاعمى، بخلاف صغار العقول فانهم كالاطفال الذين لا وعى لهم ولا ادراك ولا ايمان لهم بأنفسهم يقلدون اللغة والسلوك والمزايا والمساوىء على السواء وهم بفعلهم هذا يضاعفون كابوس الخمول والجمود والسطحية والارتجال اليومى ـ.

غير ان امهات الانتاج الفكرى لا زالت لسان حال اصحابها تنفع الناس جميعا بعد أداء رسالتها فى وقتها ، وهو التغير الى الاحسن وهدم الاوهام والاوثان بعد صراع عنيف ـ.

فكم من صراع صادق ينتهى بنشر النور وكم من أزمة باطلة تذوب فى الظلام وبهلاك اصحابها ـ فالايام يداولها الله بين الناس حسب ناموس مقدور ، ينفر من الهدم جهلا واستكبارا وينشد البناء بالحق والاستبصار ، ولئن كانت «تؤخذ الدنيا غلابا» على حد تعبير الشاعر فى الحقيقة

والمجاز والمعنى والمبنى ، فليس فى ذلك تبرير للفوضى والاستهتار ولا تأكيد للعبث والباطل فى الحياة وفى عالم الفكر .

ان اكثر الناس أسارى الجهل والخوف لا الشر والمكر ، ما على المجتمع الا مسايرة مسطرة الكون بفضل رجال الفكر عن علم وبصيرة حتى لا تصطدم النفس بتقييد الحرية او تضييق الآفاق .

ليس المغرب الاقصى ولا المغرب العربى ولا العالم العربى ولا افريقيا ولا حتى مجموع القارات بلا استثناء فى مأمن من كوارث الزمان وخطوب الدهر واجتياز الازمات وضنك الحياة المعنوية الباطنية .ـ لكل منها نصيب وافر على شاكلته ومشاربه وظروفه وبيئته وزمانه .ـ فالمظاهر المادية والمعنوية تختلف بحسب الامم والمراحل التاريخية ، ولكن الانسان فردا او جماعة هو هو فى صميم قلبه وطوايا ضميره ، تارة سعيد فى الشدة وتارة شقى فى الترف والرخاء ، طورا فى تمام الاطمئنان وهو أعزل مثل الابطال والشهداء وآونة يتملكه الرعب وهو قوى السلاح مثل الهاجم الظالم .ـ

فالحرية هى الفكر، والفكر هو الحرية وهى التحرير من الجهل والركود واستبدال فضول الطمع بعزة الروح والمبنى الحيوانى بالمعنى الروحانى. ولا بد لهذه الحرية من رسل وخدام وهم رجال الفكر، فالمرء أسير العرف والعادات والاغراض والاطماع والاضطرابات النفسية والمعنوية . غير ان الانسان رغم نسبية احواله ومنزلته فى الوجود هو مرآة الكائنات بالعقل سيد لا مسود تواق الى النور شغوف بجميل الانسجامات والسكينة المقدسة

وقديما قيل انه لا ينفر من المتناقضات والاضداد الا هذا العقل الضعيف كمخلفات الحروب مثلا من دماء وتقدم علمى وصناعى باهرين ، ذلك لان الصراع الدائم بين الخير والشر والنور والظلام والقوى والضعف على نطاق الافراد او الامم او الاسر يملأ النفس دهشا وهى بمعنى الروح النازلة من الملكوت الاعلى عالم الاعيان الثابتة او المثل يصعب عليها تشويه وجه الانسان .

لكن هذا الدهش والعجب لا يلبث ان ينقشع ويتبدد اذا رجعنا الى نقطة الانطلاق التحررية الخارجة من قاعدة الايمان بالاطلاق وعالم الامر

المتصل به .

ان أهم ما يكنه الضمير البشرى على مر العصور هو الشعور بغزارة أسرار النفس والكون وهو من ورائها بمثابة أخيلس والسلحفاة . والانسان من حيث انه العالم الصغير ضمن العالم الكبير يبلغ من الحكمة اوفر نصيب اذا اقتنع ان المعرفة وفروعها واسعة الآفاق لان الامكان وهو القدرة يدخل فى حساب اللانهاية فالميدان خصب لن ينضب والسعى متواصل الى الازل ورسالة الفكر دائمة الاستمرار .

ان مجرد نظرة خاطفة على التاريخ تكفى لابراز سلطان العقل والفكر ابان العصور الخصبة التى شاهدت الرسالات والانقلابات الفلسفية مع سقراط مثلا والعلمية م ع كبرنيك او هارفى وغيرهما والاقتصادية والسياسية والتقدم الادبى والفنى .ـ فكل مجهود جبار يرجع فضله الى الباطن اى الى الفكر ورجاله وما يستفيده الانسان مع عبر التاريخ والاختبار يتخلص فى بعض الملاحظات البسيطة التى تقيم البرهان على اسبقية الفكر الحى العامل لا الخامل كأساس لكل نهضة وحركة بنائية :

منها ثالوث المعنى والمبنى ورابطة النظام بينهما فكل خلق وابداع وتطور وتغيير وتقدم ونهضة واكتشاف وغير ذلك يستلزم قبول المسلمات الاولى القائلة بان الحركة الفكرية الباطنة رغم تأثرها بالبيئة والزمان هى فى الواقع طليعة الاعمال الانشائية فى تاريخ التراث الانسانى مثلما لاحظه الشاعر فى ميدانه الخاص عند قوله : «الرأى قبل شجاعة الشجعان» وعند قول بعض الفلاسفة ان الماهية سابقة للوجود فى ميدانهم الخاص وعند قول العسكرى ان الستراتيجية سابقة لشن الغارات وعند قول العلماء ان الفرض أساس الاكتشاف وعند قول الساسة ان التدبير ما هو الا تطبيق معنى اخلاقى واقتصادى فى المدرسة والادارة والبيت والخارج .ـ فاستجماع الفكر وجهد الامعان اجتنابا لعامل الهدم والركود المسمى بالارتجال يسلم بوجود سابق لجبلة منظمة فى الباطن تتجاوب مع نظام محكم فى الظاهر لا يشوبه مفهوم العبث والباطل .

وبناء على ذلك يقتنع الفكر بمسؤوليته واسبقيته مسلما باستحالة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اى وجود وعمل اذا لم يكن على اساس نظام سابق ايضا منه نظام العقل والكون نفسهما باشتراك وتأثير متبادل .

ومنها ان الانتاج الخصب مشروط بالحرية . لقد برهن التاريخ القريب فى المانيا مثلا وغيرها من الدكتاتوريات ان الاستبداد يطمس المواهب ويخمد القرائح وان النهضة الحقيقية توجد فى حرية المبدأ والمعاد وبفضلها تنمو الحركة الفكرية فى كل فج نظرا لترابط العوامل المادية والمعنوية تكاملا ومصارعة جدلية .

فالحرية بنت الحرية واولها الوعى والعزم مهما كانت الافكار السائدة لكن نظام العدل وتقديس الروح عن علم وتحرير العقول من وثنية القرن العشرين للآراء والمذاهب وغير ذلك هو الجو الوحيد المناسب للحركة الفكرية ورجال الفكر عليهم تقع المسؤولية الاولى فى البداية لخلق هذا الاستقلال الفكرى .

ومنها ان الطبيعة تسير على سنن التطور الذى ليس معناه تحمل الحياة او اللعب مع القوانين قصد اشباع الشهوات وتبرير الخمول وبيع او ازدراء الفكر فى الاسواق العمومية . فالتطور تتابع عمليات نظام الكون نحو غاية معينة هى نفسها من بين عوامل هذا النظام . فهو بعيد عن مفهوم التواكل او حيل الغرائز اذ ميدان الفكر حر يتسامى الى مستوى الحقائق لا الاوهام ورجال الفكر ذوى رسالات يبذرها الاختيار المر فى قلوبهم ويحصدها الالم ليصوغها الفكر فى قالبه المختار كقصة او شعر او فلسفة او موسيقى او سياسة او هندسة وهلم جرا وهذا ما يلاحظ او من بين ما يلاحظ من جوانب العبقرية التى لا تبدع بدون ألم ومحبة .

ومنها خطر التقليد على روح الابتكار فكلما جاءت رسالة جديدة او تمخض الزمان عن نون جديد من الانتاج او اسلوب تدبير الاوكان ثورة على الماضى واصبح الصراع عنيفا بين الماضى والحاضر اللهم فيما يتعلق بالنظام المبدئى المبنى على احكام العقل بمعنى واسع ووحدة النفس التى منها انبثقت الحياة الفكرية والاجتماعية ـ.

ومنها تقارب المذاهب والديانات ووجهات النظر حرصا على الاستقرار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والوحدة الانسانية وابدال الاتلاف بالاصلاح والانشاء .

بفضل هذه النقطة الاخيرة يتبين بكل وضـوح ان رسالة الانسان السامية هى القرب من ميدان الحقيقة الشامل المطلق بالعقل والذوق والسلوك لان اختلاف الناس عكس عداوتهم هو فى الواقع تنبيه الوعى لوحدة النفس وعمقها وان التغير والتطور والاضداد والتجديد وتنازع البقاء بين النظريات العلمية والفلسفية ما هى الا محاولات مختلفة لمعرفة كون يتسع ميدان العمل فيه كلما اتسعت آفاق الفكر وان البعض والكل من حيث الحقيقة شىء واحد وان الانتاج الفكرى لا يتصف بصبغة العالمية الا لوحدة النفس اى عالمية الانسان .ـ فتحديد الآفاق المعنوية انذار بالانحلال والموت ـ والسعى من وراء اللا نهاية من علامات الحيوية والنضج .ـ وباختصار ان عالم الامر والامكان المتعدد الالوان لا تحد آفاقه وفى ذلك فسحة الامل فالمتقاعسون او العاجزون من المفكرين يولون الادبار للوجود الحقيقى .ـ

واخيرا من أهم ما يستفاد من التاريخ والاختبار ان رقى الامم واحد فى سائر الميادين وانحطاطها كذلك . ويتجـلى حالهـم فى البيت والمدرسة والمحكمة والادارة والاعمار والفلاحة والصناعة والنظافة والمظهر الخارجي ولهجة القول والعواطف والمعاملات والفكر . فالرقى والانحطاط سلعة جملة لا سلعة تفريد كما يقول التجار .

فالشمول فيه جمع شمل الافكـار وشتت القـوى وخـلايا الاجتماع والمجهود العلمى وهلم جرا . ولا ينبغى ان نفهم الشمول بمعنى قفص الفكر، بل هو توضيح العقل بان يسلم الفكر وجه للحق المطلق الذى يتجلى فى مختلف درجات المعرفة ويجتمع ذوقا فى الايمان بالحق دون العبث والنظام الشامل للمعلوم والمجهول . والفكر فى طموحه هذا يضيئه نور التواضع اللازم لكل نفس ذائقة الموت .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طاغور [1]

سليم حيدر

تنام فى الدجى المسحور بث الورد للـــورد
ودونك خطرة حرى تقول انا ابنة الوجـــد
جراح الشرق هذا الطل فالمحه على خـــدى
على عينيك من بوذا العتيق حرارة الخلـــد
أساطيـــر على ظمأ ورؤيا بعد فى المهـــد
عرفتك انت سر من حنايا الشمس كالنهـــد
تنام ومنية المجهول سكرى بعـــد للوعـــد
تفتق برغم الآتى المطـــل على دنا المنـــد
وتلوى ، فالسكون صدى ابح مخضب النهـــد
كأن تمائم الهندوس لم تختم على سعـــد
ولم ترفـــل عشيات بفارس سمحة الـــورد
فبات كالصحن خصر وابكـــار من النـــد
فمن فى معزف الاوتار للنهوند والرصـــد
يقلب فى مدى الاغوار أذنى السامع الفـــرد

---

(1) قصيدة القيت بدار الفكر ، فى امسية شعرية مـن الامسيات التى نظمها اتحاد كتاب المغرب العربى شتاء سنة 1962، بمناسبة مرور مائة عام على مولد طاغور .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الثقافة واللغة والكرامة

ادريس الكنانى

تحدثت «آفاق» فى افتتاحية العدد الماضى عن العقم الخطير الذى تعانيه الثقافة العربية فى المغرب العربى ، واشارت الى الجهود التى بذلها كثير من الكتاب والصحفيين ـ عبثا ـ فى البحث عن اسباب هذا الركود الادبى والفكرى الذى عطل الحياة العقلية بهذه البلاد ، وفتح الطريق امام الانحلال ، والفوضى ، وانهيار القيم ، وانعدام الشعور بالمسؤولية .

والواقع ان اكثر الذين حاولوا ان يبحثوا اسباب هذا الركود لم يصلوا الى نتيجة ، اذ لم تكن المشكلة ـ فى عمقها ـ تتعلق بقلة الناشرين وغلاء الطباعة ، وقلة القراء ، وفقدان وسائل التشجيع ، واضطراب الوضع السياسى ، بقدر ما تتعلق بعامل اساسى ، اعظم خطرا ، واشد اثرا من جميع تلك الاسباب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان الثقافة هى وليدة اللغة ، والانسان يفكر ويعمل باللغة التى يتكلمها ، لذلك لا يمكن ، ابدا ، فصل قضية الثقافة ، عن قضية اللغة ؛ طالما كانت اللغة هى القالب الذى يصوغ فيه المجتمع ثقافته الوطنية ، ولا يمكن التحدث عن ازدهار ثقافة بلد ما ، دون التأكد سلفا من حياة لغتها . ولكى تحيا اللغة الوطنية ، يجب ان تتمتع بالكرامة والاعتبار ، هذه الحقائق ستكون ـ متى سلمنا بها ـ بداية البحث عن المأساة التى تعيشها الثقافة القومية فى بلادنا .

لقد بدأت هذه المأساة منذ نصف قرن عند ما شرعت الحماية الفرنسية بالمغرب فى سلوك سياستها التقليدية للقضاء على اللغة القومية ، وبالتالى على الثقافة والتراث العربى فى هذه البلاد ، تلك السياسة التى لم يتردد الفيلسوف الفرنسى (سارتر) فى التشهير بها عند ما قال : «ان التسلط

الاستعمارى لم يقنع باخضاع هؤلاء البشر المستعبدين ، وانما هو يحاول ان يجردهم من انسانيتهم ، ولا يدخر جهدا فى سبيل القضاء على تقاليدهم ، من أجل ان يحل لغتنا محل لغتهم ، وان يهدم ثقافتهم دون ان يمنحهم ثقافتنا » .

وجاء الاستقلال ليجد اللغة العربية تعيش فى اسوأ حال ، ولكن هذا الوضع لم يتغير بعد تسع سنوات من الاستقلال ، وانما زاد سوءا وتعقيدا: المدرسة المغربية لم تتعرب ولم تتمغرب ، ولم تستطع ان تتحرر من سيطرة السياسة التى خططتها لها الحماية ، لتقيم على انقاضها سياسة قومية ، ولئن تضاعف عدد تلاميذها سبع مرات منذ بداية الاستقلال حتى اليوم (200.000 ـ 1.400.000) فقد كان ذلك لصالح نشر اللغة الاجنبية على حساب اللغة القومية التى يتقلص ظلها يوما عن آخر . ان الاجيال التى كونتها هذه المدرسة منذ نصف قرن ، لم تؤهلها لتقرأ اللغة القومية وتكتبها ، او تفكر بها ، واخطر من ذلك ، ان هذه المدرسة لم تعلم الاجيال المغربية احترام لغتها الوطنية .

ومن المدرسة تنتقل الى الادارة والعمل والتشريع ، والى الصحافة والاذاعة والتلفزة والسينما ، لنجد ان اللغة القومية تعيش على هامش الحياة فى وطنها ، وعند ما نحاول ان نستعملها نواجه بالاحتقار ، والوثائق المكتوبة بها توضع فى سلة المهملات ، فى هذا الوسط المتدهور ، لا يحس المواطن المغربى بوجود اى كرامة او تقدير للغة وطنه ، الاحساس بهذه الكرامة ، لا يزا لمن امتيازات الاجنبى وحده ، الاجنبى الذى يطأ هذه البلاد لتغمره نشوة الاعتزاز والاستعلاء ، انه هنا فى بلد تحكم بلغته ، وتدين بثقافته ، ويستشعر ابناؤها النقص اذا وقفوا امامه ، انه هنا السيد الذى لا يتطرق الشك فى عظمته .

وتستطيع ان تلقى نظرة عابرة على احد «اكشاك» بيع الصحف والمجلات، او على عدد وضخامة دور الكتب الاجنبية بالمدن المغربية ، لتتأكد بان نسبة قراء العربية من قراء اللغة الاجنبية ، قد لا تصل الى عشرة فى المائة ، ونفس الامر يلاحظ فى الكتب المدرسية العربية التى تستهلك سنويا ، اذا قورنت بالاجنبية التى يباع منها عدة ملايين كل عام .

هذا الغزو اللغوى المنظم للمغرب العربى ، لم تقف اخطاره عند الحدود التى اشرنا اليها ، فقد اصبحت اللغة الاجنبية لغة تخاطب الطبقة المتعلمة فى المكتب والشارع والبيت ، واضحى انصاف المتعلمين يتكلمون لغة ما هى بالعربية الخالصة ، ولا هى بالاجنبية الخالصة ، ولكنها خليط هجين عرفنا مثيله لدى الشعوب التى خضعت طويلا لحكم الاستعمار .

قد يقال اننا بالرغم عن ذلك نملك قراء للعربية بدليل وجود صحيفتين يوميتين ، واخريين اسبوعيتين ، ومجلة او مجلتين ، ولكننا نعلم ان نصف هذه الصحافة تموله الحكومة ، والنصف الآخر لا يعيش الا بفضل بعض الاحزاب . ومع ذلك فان صحافة الجالية العربية وحدها بامريكا تفـــوق صحافتنا عددا وقراء ، بل ان صحافتنا لا تعادل عشر صحافة لبنان التى لا يتجاوز سكانها عشر سكان المغرب !!!

فى بلد هذا هو وضع لغتها الوطنية فيه، يكون من السخف والسخرية ان نتحدث عن ازدهار ثقافة وطنية بها ، او ان نتساءل عن اسباب ركودها الادبى والفكرى ، ما لم نتجه مباشرة لتصحيح الوضع الخطير الذى تعانيه هذه اللغة اولا ، والا فسنكون حينئذ كمن يتساءل عن امرأة جميلة لما ذا لا تغنى ؟ ، فيجاب ان صوتها مزعج ، او لعلها حيية ، او لم تتعلم اى لحن ، ثم لا يفطن احد الى السبب الاصيل وهو انها بكماء .

لكن ، عند ما ترغم أمة على ترك لغتها القومية ، لتتبنى مكانها لغة اجنبية ، ما ذا يعنى هذا فى عالم الثقافة ؟

1 ـ يعنى ان جدارا يقام بينها وبين ماضيها ليفصلها عن جذورها الفكرية والثقافية والروحية ، واحب ان اذكر هنا بالمثل المغربى «الشجرة المقتلعة لا تنبت» وبعبارة ايمى سيزير : «ان أقصر الطرق المؤدية الى المستقبل ، هى التى تمر من التعمق فى الماضى» .

2 ـ ويعنى ان تصدعا هائلا اخذ يزلـزل كيانهـا وبناءها الاجتماعى كأمة موحدة .

3 ـ ويعنى انها تواجه عملية تحويل خطيرة تهدف لمسخ وتشويـــه ما تملكه من مقومات وتراث وثقافة وقيم وتقاليد واخلاق .

4 ـ ويعنى ان تزييفا وتمزيقا بدأ يعصف بالشخصية الوطنية لابنائها. واشير هنا لتعبير رائع فى وصف هذه الحالة ، لمحمد ديب فى احـــدى رواياته : «أشعر وكأننى منفى داخل اللغة الفرنسية» .

5 ـ ويعنى ـ اخيرا ـ تكوين عقدة نقص لدى الامة كلها تجاه تاريخها وحضارتها ولغتها وثقافتها التقليدية ، هذه العقدة النفسية لعلها اخطر عقبة تقف دون تقدم وازدهار المجتمع المغربى فى سائر الميادين .

وبعد ، فقد اصبح الدفاع عن اللغة العربية فى هذه البلاد دفاعا عن الثقافة العربية والاسلامية التى عملت الاجيال المغربية على تشييد صرحها منذ ثلاثة عشر قرنا ، ضد الغزو اللغوى ، والاستعمار الفكرى ، الذى يسعى جاهدا لالحاق المغرب العربى برابطـــة الشعوب الناطقة باللغـــة الفرنسية . ودفاعا عن الكرامه التى يعتز بها الشعب المغربى ، والتى حافظ بفضلها على استقلاله طيلة ثلاثة عشر قرنا .

هذا الدفاع اصبح فى يقينى احدى واجبات الرسالة المقدسة التى يتحمل اعباءها اليوم كتاب المغرب العربى الواعون .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التراث المجهول

محمد شفيق

يكشف الاستـــاذ محمد شفيق فى مقاله هذا جانبا مهما من جوانب تراثنا القومى ، يتعلق (بالشعر البربرى) .

ويسعد مجلة «آفاق» ان تنبىء قراءها الكرام بأن الاخ الاستاذ محمد شفيق سيقوم بانجاز هذا الركن تباعـا فى المجلة .

« **اخى ! كن مزيغا تحالفك الايام !** »

« **تزوجى روميا، لقد باد الامازغ !** »

هذه ترجمة لبيتين شعريين بربريين ، بيتين رددتهما فى صغرى سنوات متواليـة دون أن اعرف لهما معنى ولا أعى لهمـــا مغـزى ؛ رددتهما فى لذة لم تحصل لى فيما بعد الا عند قراءة امهات القصائد من الشعر العربى او الشعر الفرنسى ؛ ثم اعرضت عنهما شيئا فشيئا حتى كاد النسيان يغشاهما فى ذهنى ، لان المدرسة قالت لى واكدت بان لغة الحياة هى الفرنسية ، وان لغة الادب والتاريخ والوطنية والدين هى العربية . وكاد النسيان يغشاهما فى ذهنى ويغشى معهما ابياتا اخرى وقصائد برمتها ، لان ابى كان يقول لى ويعيد «العسل ما هو ادام والشلحة ما هى كلام ! » لكنى مع ذلك لم انس هذين البيتين ، وان تناسيتهما ، لانهما لم يستقرا فى ذهنى فحسب ، لكن استقرا فى ذهنى وقلبى ، ولا شك انهما يسريان فى الجسم مع الدم ؛ ولا غرو ، اذا رضعت مع اللبان ما يحتويان من لفظ وتشربت نفسى بما يحملان من معنى .

وفيما كنت ذات يوم اتحدث الى شيخ وقور من شيوخ الاطلس اذا به

يسوق فى حديثه البيت الاول من هذين البيتين ، مستشهدا به على راى يبديه . قال الشيخ :

« اخى ! كن مزيغا تحالفك الايام ! »

فأردفت دون سابق تفكير :

« تزوجى روميا ، بنيتى ، لقد باد الامازغ !»

فغضب الشيخ ونظر شزرا الى ، ثم قال : أراك تخلط بين اقوال الشعراء وتحفظ من الشعر ما لا يغنى !»

قلت : «أخبرنى ! من قال بيتك الذى أنشدته ، وبأية مناسبة قاله؟»

قال : «.. أخبرك ! وبالذى قال بيتك أذ ت ايضا ..»

فعلمت ان البيت الاول قيل اثر معركة الهرى (1) الشهيرة ، تلك المعركة التى خاضتها قبيلة زايان ضد الجيش الفرنسى . قال الشاعر ذلك البيت ضمن قصيدة مطولة أشاد فيها بذكر «الامازغ» ونوه بشجاعة المحاربين اذكاء لحماسهم الدينى والقومى معا ، اذ لم تكن الحرب قد انتهت بعد .

انشد ذلك البيت اذن فى ايام عز وافتخار واعتداد بالنفس ونخوة ونشوة ، فجاء صورة صادقة للظروف التاريخية التى قيل فيها . وهذه الظاهرة ملموسة فى الشعر البربرى الحماسى كله . فانظر معى الى البيت الثانى :

« تزوجى روميا ، بنيتى ، لقد باد الامازيغ !»

الامازغ هم البربر كما هو معلوم . وقد قيل هذا البيت فى غضون السنوات الخمس التى تغلبت فيها جيوش الاحتلال على المقاومة القبلية تغلبا «نهائيا» ، فيما بين سنة 1930 وسنة 1935 ، فردده الناس من رجال ونساء ، ورددده الاطفال فى سذاجة الصبا، وتأفف لسماعه الشيوخ وبكت

---

(1) دارت معركة الهرى فى احد ايام اكتوبر من سنة 1913 ، من طلوع الشمس حتى الزوال ؛ والهرى اسم قرية صغيرة تبعد عن خنيفرة باثنى عشر كيلومترا نحو الجنوب . وقتل خلال المعركة 650 جندى فرنسى من بينهم 40 ضابطا .

عند انشاده العجائز . ألست ترى فيه صورة لروح اليأس والاستسلام ؟

« تزوجي روميا . . . ! »

كيف يجوز لمسلم متشبث بدينه متعصب له ان يوحي الى ابنته ان تتزوج «برومي»؟ أليس في ايحائه نغمات تحسر وزفرات ألم ما بعده من ألم ؟ ألا يذكرك هذا البيت ببيتي ابي البقاء الرندي اذ يقول :

وطفلة مثل حسن الشمس اذ طلعت ... كأنما هي ياقوت ومرجـــان !

يقودها العلج عند السبي مكرهـة ... والعين باكية والقلب حيـران !

فهذا الاب يتألم بالفعل اذ

«... قد باد الامازغ ! »

فقد دافع هذا الرجل عن كيان قومه بجميع ما كان لديه من القوى وما كان لديه من الوسائل وما لم يكن ؛ دافع حتى لا يختلط الامازغ بالروم. ولكن ! لكن قضى الامر ، فغلبت الروم ، و«باد الامازغ» . والامازغ في ذهن ذلك الرجل قد بادوا واندثروا ، لا في المجاز فحسب بل في الحقيقة والواقع : انهم بادوا معنويا ان لم يبيدوا ماديا وتاريخيا . فليتم اذن ما قد تحتم ! ولتتزوج ابنته البربرية الاصلية من رومي دخيل أعجم ، اذ لم يبق لها من بني جنسها رجل يستحق زواجها . والرومي احق بها بما انه هو الذي اباد قومها ... ولعل في هذا البيت تفسيرا لسلوك كثير من البربر اثر انهيار مقاومتهم . والبربري لا يحب اوساط الامور فيما يرجع لسلوك البشر ...

ايها القارىء الكريم ، ان في الادب البربري المئين من القصائد والآلاف من الابيات، هي لسان حال قوم من صميم الامة المغربية، بل هو قاعدة الامة المغربية وركنها . فقد اتاحت لنا مجلة «آفاق» الغراء الفرصة لنطلـــع جميعا على هذا الادب الغني بما استودعـــه الشعب المغربي من الاحزان والافراح وما ضمنه من آلام وآمال . فلنعرض في كل عدد من مجلتنا نموذجا من ذلك الادب المجهول الذي يكمن فيه جانب م نتراثنا يتصل بالاعماق ، أعماق النفسية المغربية ؛ جانب لو صقلناه وجلوناه لالقى على العقلية المغربية اضواء من شأنها ان تساعدنا على معرفة انفسنا ، وما اصعب معرفة النفس! فالى الاعداد المقبلة من «آفاق» ، والسلام .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما أبقيت لنفسى

محمد النازى سعود

الشذا طافح بعطـــر الدوالى ... والسنا دافق كـــذوب اللآلى
غمر الافق حين سال به الفج ... رويدا ومـــاج فوق التـــلال
فتدلت ذوائب الارز جـــذلى ... تنهل النور فى مـــراح الشمال
تنثنى للنسيم يغـــدو عليها ... وتماشيـــه خطـــوة فى دلال
وعلت فى الفضاء أغرودة الطيـــــر ورفت فوق الروابى العوالى
سفسفات فى اثرهـــا عندبات ... طافت الشعب وارتقت للجبال
بجناح مفضض الريش يهـوى ... فى اختيال ويعتلى فى اختيـال
أسكرته فى الربيـــع كؤوس ... من عصـــارات سلافهـــا كالـزلال
هى خمر ، وليس كالخمر لونا ... ومذاقا ، ومثلها فى الفعـــال
جنتى هـــذه تمنيت للنـــا ... س جميعا من عطرها والظـلال
من جناهـا للجائعين وهم كثـــرٌ بأرضى بسهلهـا ، والاعالى
من سناها فتستنير عيـــون ... اطفأ الفقر نورها كالذبـــال
من شذاهـا حتى تطيب نفوس ... لوثتهـــا الاطماع بالاوحـــال
ويسود السلام من بعد ما يغا ... لب حب الجمـــال حب المال
ثم مـــا ذا ابقيت منها لنفسى ... حسب نفسى السلام بين الرجال
وكفانـــى اذا فتحت عيونـــى ... ان أرى الارض فى هناءة بال
جنتى هذه خيال ، وحلـــم ... وامـــان ، كـم عذبت أمثالى

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

اللغة العربية والعلوم الحديثة

عزيز عبوش

قد سبق لكثير من العرب والمستشرقين ان تحدثوا فى هذا الموضوع، فمنهم من زعم ان اللغة العربية صالحة لكل ميدان وكل زمان ، ومنهم من أكد انها ازدهرت فى الماضى وبلغت قمة المجد فى العصر العباسى ، لكنها لم تساير منذ ذلك العصر تطور العالم ، لذا لم تعد اليوم قادرة على تأدية مهمتها فى ميادين العلم ، والتكنيات على الخصوص .

وبقى هذا الامر مثار جدال عنيف تارة ، ومناقشة حامية الوطيس مرة اخرى ، الى يومنا هذا خصوصا بعد ان فرض المستعمر على العرب لغته، فى ميدان الادارة والتعليم والمجتمع .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سأحلل بايجاز ، آراء الطرفين لنتبين هل قامت المناقشة حتى الآن فى صميم الموضوع ، ام بقيت تجرى على هامشه بين اناس ، يتحدث كل واحد منهم بجانب الموضوع فلا يتعقبه ، وبالتالى لا يستوفيه حقه من التحليل والامعان .

سأعطى بعض الامثلة من الميدان العلمى ، لابين ان اصل المشكل ليس قضية لغة ، كما يظن البعض ، وانما هو قضية متكلميها ومقدرتهم على الابداع والابتكار . وموقف المغاربة من هذه المسألة كموقف باقى العرب. فهم اذن فريقان : فريق يزعم انه لا مشكل فى التعريب مطلقا ، وفريق يعتبر اللغة العربية قادرة على تأدية مهمتها ، فى كثير من الميادين ، كالادب والشعر والفلسفة مثلا ، لكنه يحكم عليها بالعقم فى ميادين العلوم والتكنيات على الخصوص .

يقول اذن اصحاب الطائفة الثانية : فى وسع اللغة العربية ان تعبر تعبيرا وافيا عن الافكار الفلسفية ، والمجاز الادبى ، والعواطف الرقيقة ، فى الشعر ، ولكنها (اى اللغة العربية) غير قادرة على التعبير عن نظرية حسابية او قانون فيزيائى .

لى سؤال واحد الى اصحاب هذا الرأى : ما هو الاصعب ، ياترى ، هل لغة العلوم ام لغة الفلسفة والشعر والادب ؟ فمن له المام ـ ولو ضئيل ـ بالعلوم يعرف ان لغتها اسهل بكثير من لغة الفن والادب ، فهى لغة واضحة تستعمل الفاظا محدودة العدد ودقيقة المعنى ، ولا تحتاج الى تراكيب معقدة، شأن تراكيب الفلسفة ، ولا الى أشكال بديعية فى الادب ، فاذا كانت اللغة العربية قادرة على التعبير عن فكرة تستوجب العمق والوضوح ، فى آن واحد شأن الفلسفة مثلا ، فكيف لا تستطيع ان تعبر عن فكرة دقيقة تتجلى بساطتها فى وضوحها ، شأن جميع العلوم ؟ «فمن وسع الكثير فهو حرى بأن يسع القليل».

اما كون اللغة العربية لا تتوفر على المصطلحات الكافية للتعبير عن المنجزات الحديثة ، فى العلوم ، فليس ذلك حاجزا يستحق الذكر. فالتاريخ يؤكد لنا ان المصطلحات العلمية لم تكن نصيب امة او لغة مـــا ، بل كلما اكتشف العلماء جديدا فى الميدان العلمى ابتكروا له اسما من تلقاء انفسهم، فيصبح هذا الاسم متداولا فى لغتهم اولا ، وكثيرا ما يستعمـل نفسه فى اللغات الاخرى . وامثلة ذلك كثيرة ، فكلنا يعرف ان اللغة العربية نفسها استفادت كثيرا من الفارسية واليونانية وغيرهما .

وحتى الكلمات التى يصوغها اصحاب لغة سايرت التقدم ، قد لا تؤدى المعنى المراد منها بدقة ، لكنها تبقى مستعملة نظرا لما نالته من مكانة بين المصطلحات العلمية ، فلفظة (أكسجين oxygène) ، قد استعملها لاول مرة العالم الفرنسى «لفوازى» فى القرن الثامن عشر ، ليسمى بذلك الغاز الذى اكتشفه قبله العالم الانجليزى «ابريستلى» (Brestly)، ولكن لم يطلق عليها اسما فسماه «لفوازى» أكسجين ، وهى كلمة مشتقة مـــن اليونانية ومعناها «منشىء الحوامض» ، وذلك لان العالم الفرنسى كان يظن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان مادة الاكسجين موجـــودة فى جميع الحوامض . ونحن نعلم اليـوم أن هنـاك حوامض كثيرة ليس فيهـا أكسجيـن ، وهـى الحوامـــض الايدوجينية . لكن ذلـك لا يمنعنا من ان تستمر فى تسميـــة الغـاز المذكور بالاكسجين . الشىء الذى يبرهن على ان اللفظ اذا استعمل وقبلته اللغة، لانسجامه مع نطق متكلميها، قد يصبح اقوى من معناه . ويستمر استعماله على علاته وفى هذا المجال يعرف رجال اللغة ان الالفاظ تخلق فى نطاق ضيق . فتنمو وتترعرع بكثرة الاستعمال او تضعف ويركبها الصدأ فتموت من قلة التداول . وهناك امثلة فى تسمية المواد العلمية او العلم ، «فاللوغاريتم» (Logharitme) من الكلمات الدخيلة على اللغة العربية مع ان اصلها عربى صرف . ان تاريخ هذه الكلمة غريب جدا : فهى تحريف لاسم العالم الرياضى ابى عبد الله محمد بن موسى الخوارزمى الذى كان يعيش حوالى سنة 820 للميلاد، بمدينة كيوا فى جنوب بحر الارال.

وضع هذا العالم اسس حساب اللوغاريتم وحل المعادلات ، ولما اخذ الاوربيون يدرسون كتبه ، بعد ترجمتها من العربية الى اللاتينية ، اضطروا الى تحريف اسم الخوارزمى لعدم وجود حرف «الخاء» فى اللاتينية، فسموه «الغوارزمى» ، ومن هنا جاء لفظ اللوغاريتم. وهم العرب يأخذونه ، بدورهم ، فى صورته العجمية . فياحبذا لو اخذوا هذه الكلمة فى صورتها الاصلية وسموا العلم المذكور بكلمة الخوارزم .

اذن ، قضية المصطلحات امر ثانوى لا يمكن ان يعترض طريق اللغة اذا ارادت ان تعبر عن شىء ما . وبعبارة اخرى ، لا تنقص اللغة العربية مصطلحات بقدر ما ينقصها علماء مثل (الخوارزمى) ليفرضوا اسمهم على العلم ، او مثل (لافوازى) ليبتكروا كلمة مثل أكسجين تفرض وجودها على اللغة نفسها . هذا ونعلم كذلك ان لغة العلوم تكاد تصبح موحدة بين كثير من الامم ، اذا لم نقل بين جميع الامم . فهناك طرق لاشتقاق الكلمات حسب المدلول المنتظر منها تأديته ، وخصوصا فى مادتى الفيزياء والكيمياء ، علاوة على الرموز المستعملة فى جميع الدول .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رأى من يرى ان العربية كاملة فى أصلها :

لا أرى عند الذين ينصبون أنفسهم للدفاع عن اللغة العربية ـ بمحض العاطفة ، والاسلوب الفصيح والالفاظ الرنانة ـ، لا أرى لديهم حججا ذات قيمة ، فهم يعتبرون اللغة العربية قادرة اليوم على تأدية مهمتها ، لانها كانت فى الماضى تعبر تعبيرا وافيا عن جميع مرافق الحياة من اجتماع وتاريخ وسياسة وشعر وادب وفلسفة وعلم .

كلا ! ليست هذه حجة ، اذ غير خاف على احد ان لغة الاغريق نالت فى الماضى مكانة قوية ، فشملت جميع اقطار البحر الابيض المتوسط وعبرت عن حقائق علمية وآراء فلسفية وعواطف رقيقة لا زالت موضوع اهتمام علماء وفلاسفة وادباء اليوم . لكن ، اين الآن لغة الاغريق ؟ وهل هناك من يتكلمها ؟ لقد بادت بعد ظهور امبراطورية الرومان . وحلت لغة هؤلاء مكانها ، واصبحت اللاتينية لغة الفلسفة والادب والقانون الى ان تقهقرت الامبراطورية الرومانية وتفرقت الى دويلات ، واصبحت كل واحدة منها تتكلم لهجة خاصة تطورت بعد ذلك واصبحت لغات يتكلم ويكتب بها ، ووضعت لها قواعد ثابتة . فمثلا يؤكد التاريخ ان اللغة الفرنسية لم تستقر الا بعد قرون طويلة ، تمخضت فيها لهجات «الفران» ببلاد «الجول» . وبعد مراحل ، بدات الوثائق الرسمية تكتب بالفرنسية بدلا من اللاتينية، واصدر أصحاب نهضة اللغة كتابا «لابراز اللغة الفرنسية وللدفاع عنها» (Défense et illustration de la langue française) واخذ الفرنسيون يستعملون هذه اللغة فى المدرسة والشارع والمنزل .

* * *

ان اللغة لا تحيى الا بالمداولة فى جميع مرافق الحياة ، ولا تنمو وتزدهر الا بفضل رجالاتها القادرين على الابداع . اما وضع الكلمات عن طريق الترجمة ، او النحت ، او الاشتقاق وتركها فى المعاجم حبرا على ورق، فلا يفيد اللغة ابدا . ان الكلمات التى لم تستعمل ، كأدوات محرك لا يخدم، يركبها الصدأ فتتلف . ثم ان اللغة ليست فى حد ذاتها قوة تنمو او تضعف وانما هى آلة فى ايدى متكلميها ، تعكس قوتهم على الابتكار ، وضعفهم وخمودهم . ولغة الاغريق لم تكن ، قوية فى الماضى لانها لغة الاغريق ، بل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لانها كانت تتبلور فيها عبقرية (طالس) و(فيتاغورث) و(سقراط) و(هومروس) وغيرهم من العلماء والفلاسفة والادباء . ولما فقدت اليونان مثل هؤلاء الرجال، لم تجد اللغة الاغريقية من يحميها من سيطرة اللاتينية ، فاضمحلت وتمكنت الاخرى من محلها ، ثم ترعرعت وسادت بفضل (سيسرون) و(فرجيـــل) و(طسيت) وغيرهم . وكذلك اللغة العربية ، فانها لم تنل اوج مجدها فى العصر العباسى، صدفة، وانما امكنها ذلك بمن كان لها من رجال عظام رفعوا من شأنها ، فالخوارزمى اطلق اسمه على «اللوغاريتم» ، والاسطرلابى يرتبط اسمه بمقياس الاسطرلاب ، كما اقترن المرصد بعبقرية الطوسى .

فاللغات اذن ليس فيها حى او ميت ، بل كلها حية بالمداولة وبنشاط متكلميها وقدرتهم على الابتكار ، وكلها ميتة اذا افل شعاع فكر اهلها ، ولو كانوا جميعا يناصرونها . انها لن تنتصر بمجرد الكلام والاخذ والرد، بل تنتصر بطريق واحد هو أن يؤمن بها اهلهـا اولا ، ويستعملوها فى جميع مرافق حياتهم ثانيا . ويجتهدوا فى ميادين البحث العلمى، اذا ارادوا لها الحياة فعلا . وبذلك يمكنونها من ان تساير تطور العالم الحديث .

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا بأس ان نأخذ فى هذا الطور من نهضتنا باقتباسات غيرنا حيث هم الآن متفوقون علينا وقد سبق لهم ان أخذوا عن اسلافنا ، ولكن يجب ان نعمل جادين على مسايرة الركب لكى لا نبقى فى مؤخرة القافلة، سيما وان العالم يتقدم بسرعة مدهشة ، فى ميدان العلوم على الخصوص. ولنقتد هنا بما فعله اسلافنا . فقد اخذوا عن اليونان والهنـــد والروم معلومات كثيرة فى العلوم على اختلافها ، لكنهم اجتهدوا بانفسهم ، فطوروا تلك العلوم وتقدموا بها خطوات واسعة ، فاضحت علما جديدا يعكس قوة العرب الفكرية وعبقريتهم . فلا غرابة اذا كانت اذ ذاك اللغة العربية قد احتلت الصدارة فى العلاقات الدولية والمعاملات المجتمعية .

أما اذا بقينا نتكلم لغة ونكتب اخرى فان لغتنا لن تتمكن من تأدية مهمتها ، مهما بلغ دفاعنا عنها .

أوهام...!

عبد الكريم النوائى

لا شيء فى هذه الحياة بحقيقة مجردة ثابتة وانما هى النسبية التى تتحكم ، ثم الاوهام

رأيتك والهوى صنوين عاشا ... مع الاحلام يجتران وهما
توهمت الحياة صفاء خمر ... معتقة الجنى سحرتك طعما
فذقت كؤوسها وظننت جهلا ... بأنك نلت من دنياك غنما
وواصلت الترشف فى انتشاء ... وفى غيبوبة انستك غما
وكانت ساعة انستك اخرى ... اذبت بها الحشا ، وشربت سما
كذاك العيش اذ يحلو ويصفو ... ويغفو الدهر ساعات ويعمى
نخال السافيات هوى رخاء ... ونعتقد الضنى روحا ورحمى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

وامعنت الغداة فى قنص حلم ... نسيت خلاله ما كان قدما
تراءت مغريات الحب فيه ... لذاذات تدغدغ منك جسما
اصاب به الصبا للهو ساعا ... فعاشاها عناقا ثم ضما
واسكر مقلتيك حميا نار ... صبوت لحرها فصلتك لغما
يضرج وجنتيك دما ويغرى ... مراض القلب ان يعدوك وهما

* * *

وما فكرت اذ أمسيت نشوى ... تناغيك الحياة هوى وحلما
وتدنى منك دنيا من امان ... احاطت روحك الضمأى بنعمى
وتغمر جوك السحرى لحنا ... شجى الوقع يوحى النفس رحمى
... بأنى فى متاهاتى اعانى ... عذابات والقى شجى وهما
فقدت فى مقلتيك هدى رشادى ... وعشت بلاك فى دنياى اعمى

أهـــوم دون غايـــات وأمضى ... فى دربى لا ارى شمسا ونجما
فقـد غامت شموسى وادلهمت ... دروبى واجتررت هـــواك وهما
كانك لم تكونـــى غير طيف ... من الاوهـــام بالدنيـــا ألما
ولم أك فى دناك سوى خيـال ... تغشاه الضباب أسى وهمـــا
وتلـــك بروق دنيانا وانـــا ... على اوهامهـــا نتفانى دومـــا

* * *

أأوهامى اليك صبا فـــؤادى ... وألفى حضنك الكـــاوى نعمى
وانى قد عشقتـــك مستهاما ... ولم يك لى الخيار ، فانى اعمى
وتهت فى مقلتيـــك فما ابالى ... اخيرا كنت ام شرا واثمـــا
هى الاقـــدار ساقتنى لحينى ... فسرت لها احث الخطـو رغما

* * *

وانت غـــدا ستبكين الليالى ... وتفتقديـــن اوهامـــا وحلما
وتندب مقلتاك جمال عهـــد ... قضى حزنا عليك وغـــام يتما
وتلك نهاية الاوهام ، ذكـــرى ... تناجى النفس بالحسرات دومـا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الافاق الموضوعية والفنية في شعر شاعر الحمراء

عبد الكريم غلاب

الكتاب الذى اصدره السيد أحمد الشرقاوى اقبال ، «شاعر الحمراء ، فى الغربال» اتاح للكثيرين ممن كانوا بعيدين عن الشاعر محمد ابن ابراهيم واجوائه أن يطلعوا على نماذج من اشعاره ، فقد أتيح لهذا الشاعر من الشهرة وذيوع الصيت ما لم يتح لشعره وديوانه ، فلم ينشر الديوان ، ولم يشتهر من شعره الا مقطعات رواها الرواة لطرافتها او غرابتها او تمردها على الجانب الخلقى والاجتماعى ، وهى اذا كانت تمثل جانبا من حياة الشاعر او بعض نزعات فنه ، فهى لا تمثل أدبه وفنه ، فالحكم عليه من خلال تلك المقطعات يعتبر ظلما لشعر الشاعر وان انصف حياته ونزواته ، لذلك فان تسجيل نماذج من شعر محمد بن ابراهيم كان فى حد ذاته انقادا لتراث هذا الشاعر وخدمة لادبه وتمكينا لدارسيه ونقاده من مادة يزنون بها ادبه الذى كادت تطغى عليه اسطورة صاغها او صيغت حول حياته .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والذين درسوا شاعر الحمراء كشاعر لم يستطيعوا ان يتخلصوا من تأثير الاسطورة ، فقد نشرت حياته ظلا مديدا حول فنه الادبى فأصبح المتحدثون عنه بين تأثيرين لا مجال للتخلص من احدهما : اما اعجاب بالحياة البوهيمية التى عاشها ، والتى لم يرحم فيها شخصه و لاانسانيته، ومن هذا الاعجاب استمدوا تقديرهم للشاعر وفتنتهم بشعره ، وأغلب هذه الفتنة كانت بشعره الماجن : خمرياته وغزله وسخريته واستهتاره ، واما النقمة على اخلاقه وسلوكه ومن هذه النافذة يطلون على ادبه .

وكلا التأثيرين مرفوض فى ميزان النقد الادبى ، فليست حياة

الشاعر بذات تأثير فى وزن شعره من حيث هو فن او فى تقييم ميزاته ومباذله ، الا ان تكون تفسيرا لجانب من جوانب التأثير النفسى او الفكرى او الفنى فى شعره وادبه ، اما أن يكون السلوك نفسه او الحياة كمادة هى النافذة التى يطل منها الناقد على مظاهر الجمال او القبح فى الشعر ، فذلك ما يرفضه النقد و لايقبله اى ميزان سليم .

واعتقد ان للشاعر ابن ابراهيم دخلا كبيرا فى فرض هذين التأثيرين على قراء شعره ، فقد كان يروى شعره ويرويه وقلما ينشره ، وهم عدة مرات بجمع ديوانه ولم يفعل وكانت مجالس الانس والمنادمة وسيلتـــه الى اذاعة ما يريد اذاعته من شعره ، وأكثر ما كان يقترن بهذه المجالس من شعره خمرياته وغزله ومجونه وسخرياته وهجوه . ولذلك فقد كانت له يد فى جناية حياته على شعره ، لان الشعر عنـــده كان مقترنا بهذه الحياة ، لا من حيث هى مصدره فحسب ، ولكن كذلك من حيث كانت وسيلته الى اذاعة شعره والتعريف به .

لهذا سأحاول فى هذه الدراسة للجانب الفنى فى شعر ابن ابراهيم أن أتخلص من تأثير حياته سواء فى ناحيتها الايجابية او السلبية .

وليس من شك فى ان ما رواه مؤلف «شاعر الحمراء فى الغربال» من مقطعات انما هو نماذج ، ولكنى أعتقد انها نماذج كافية لتقييم ادب ابن ابراهيم ووضعه فى مكانه بين الشعراء المخضرمين فى الادب المغربى الحديث لانها نماذج تمثل آفاق شعره من جهة ، وتمثل طبيعة فنه ومظاهر هذا الفن من جهة اخرى ، ولذلك فليس منالضرورى الالمام بكل شعره ما دام فى النماذج ما يكفى لتصور آفاق الشاعر النفسية والشعرية وطاقته الفنية واسلوبه الادبى .

ومن خلال دراسة هذه النماذج نستطيع ان نخرج بنتيجة ايجابية ، وهى ان آفاق الشاعر محدودة لا تكاد تعدو النظرة السطحية للشعر التى أدركها المتأدبون من كتب النقد المتأخرة ، فالشعر عند هؤلاء مدح وغزل وهجو ورثاء وخمر ، دعاهم الى تصنيف الشعر فى هذه الابواب رغبتهم فى الحصر والتبويب ، ولذلك فاذا كان يغلب على القصيدة مثـلا جانب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المدح يسلكونها فى باب المدح دون ان يثير انتباههم ما فيها من فلسفة أو وصف او سياسة او دفاع عن مبدأ او اشادة بوطن او قبيلة ، فحب التصنيف والتبويب هو الذى دفعهم دائما الى ان يحصروا ابواب الشعر فيما ذكروه من اغراض .

هذه جناية النقاد على تقييم آفاق الشعر العربى . وهى ليست جناية تاريخية فحسب ، ولكنها جناية واقعية كذلك ، فالمتأدبون المقلدون من شعراء العرب غير المطبوعين على الاخص حدت آفاق شعرهم فى الابواب التى ذكرها هؤلاء النقاد حتى اصبح الشعر عندهم لا يكاد يخرج عن مدح ورثاء وهجو وخمر وغزل .

فهل كان لهذه الآفاق المحدودة أثرها فى شعر ابن ابراهيم او شاعر الحمراء كما اشتهر ؟

أعتقد ذلك ، فشعر ابن ابراهيم فى معظمه لا يكاد يخلو من هذه الابواب التقليدية ، وأؤكد فى معظمه ، فان هناك فلتات سأشير اليها ،

وسبب آخر للافق الضيق عند ابن ابراهيم ، هو ثقافته المحدودة وثقافته الادبية على الاخص ، فهو لم يكن يعرف لغة اجنبية ، ولم يكن يطلع على ما يترجم من الادب الاوربى او الامريكى ، ولم يكن له المام كاف بالادب العربى لانه ـ فيما يبدو ـ لم يكن يقرأ الا لماما ، فالنماذج والمثل أمامه محدودة ، ولذلك لم يكن ينتظر منه ان يمتد شعره فى الآفاق التى لا يدركها عقله ولا تدركها ثقافته ، فقد مضى الزمن الذى كان يعتقد فيه أن الشاعر او الاديب فى غير ما حاجة الى ثقافة ، وانه ذو وحى يوحى اليه برائعات القوافى وجياد الابيات .

ومن اثر هذا الافق الثقافى المحدود انه لا يتهيأ للشعر ولا يجيد صنعته . فأنت تلمح فيه الارتجال والسرعة وسوء الاختيار فى اللفظ والاسلوب والتركيب حتى انك تجد مقطعات لا يمكن ان تسلكها فى عداد الشعر ، لا من حيث تفاهة المضمون وبساطته فحسب ، ولكن من حيث ركاكة الاسلوب وضعف مستواه اللفظى والتعبيرى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ونعود الى الافق الموضوعى الضيق عند الشاعر ابن ابراهيم لنجد أن أغلب شعره مدح فى الملك او الكلاوى وقواد ناحية مراكش او مدح لفرنسا وتمجيد لعظمتها ، وان باقى آفاقه هجاء او غزل او خمريات .

والمهم فى هذا انه لا يختار ، فالمدح ارتماء فى الاحضان ، تكاد تحس منه رائحة الاستجداء ومد اليد ، وحينما يقترن هذا الاستجـــداء ـ لكل ذى مال والذى لا اختيار فيه ـ بضعف القدرة الفنية ينحدر الشعر الى أسفل درك ، وذلك ما تلمحه فى معظم شعره المادح ، والهجو من جنس المدح يبدو فيه ضعف الاختيار والنقص الفاضح فى الطاقة الفنية ، فكما تجد فى المدح مثل هذه الابيات :

مثل التهامى ما فى الارض من بطل ... شهادة صدرت من أعظـــم الدول
هذى فرنسا وذا وسام عزتهـــا ... وأنت أنت عديم الند والمثـــل

تجد فى الهجو مثل هذه الابيات :

ذكـــروا ذا الكلب فى مراكش ... وهـــو جرو كـان فيما يتجـــر
ذكـــروه وهو فى فـــاس فقـــد ... نسى الماضى ، وهل من مدكـــر
قـــد عرفنـــاك فلا تبتئس ... أيها المخذول مثـــل المنتصـــر
وعلمنـــا أنك الكلب الـــذى ... كان من قبـــل عقـورا فأبـــر

ويتمرد ابن ابراهيم أحيانا على المدح والهجو ليساير بعض الاحداث، فقد كان فى شبابه علىالاخص يجد نفسه بين مجموعة منالشباب الذينطوعوا الشعر لاحداث وطنية او سياسية . واذا كنت لا أعتقد انه اندفع فى هذا الميدان بدافع وطنى او بدافع الشعور بالرغبة فى التجديـد والتطـور بالشعر ، فقد كانت به رغبة لمسايرة بعض الشعراء الشبان حتى لا يقصر عن ميدانهم ، فقال الشعر فى حادثة ابن البغدادى الذى كان يجلد الشبان الوطنيين ، وفى احداث فلسطين ، وفى الحرب العظمى الثانية ، وفى بعض الاهداف الاصلاحية .

وهنا يكمن له الافق الضيق مرة اخرى لينحدر بهذا المضمون الشعرى الى المدح او الهجو او الى تفاهة المضمون وبساطة المعنى ، فقد بدا القصيدة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التى تحدث فيها عن ابن البغدادى بأبيات آسية متألمة يمكن ان تصلح مقدمة رثاء او فاتحة حديث عن كارثة، هى اربعة ابيات ـ فيما روى الراوى ـ مختارة اللفظ آسية المعنى ، وسرعان ما انقلب الى هجاء ابن البغدادى .

لقد برع فى الهجو حقا ، ولكن ألا تثير الحادثة غير هجو شخصى ، ان سما لفظا او تعبيرا لم يستطع ان يسمو الى مستوى الاحداث التى لم يكن فيها شخص ابن البغدادى الا اداة تافهة ، لا يعبر هجوه عن عمق الشاعر او تفهمه للوضع الذى كان ابن البغدادى يمثل فيه دور الجلاد .

وهكذا تجد ان القصيدة التى يمكن ان يقال ان الشاعر فر فيها من المضامين التقليدية كانت اعرق فى التقليد واكثر دلالة على الافق الضيق الذى كان يمتاز به ابن ابراهيم .

وكان لا بد ان يقول شعرا فى فلسطين ما دامت قضية فلسطين قد ملات الدنيا وشغلت الناس ، ويأتى الافق الضيق ليفرغ هذه القطعة من كل احساس شعرى ، وليسقطها من حساب الشعر السياسى او الوطنى فان غريزة الهجو تطفو مرة اخرى على احساس الشاعر حتى يقول

عجبى من ابن يهود يعرق قدره ... ويلوم بيض الهند وهى رقاق
ان كان داء الجهل أعماه فكم ... داء له ضرب الطلى ترياق
كذب اليهود بوعدها بلفورها ... بلفور طعم المسلمين زعاق

وبهذه التفاهة الفكرية والشعرية يتحدث عن الحرب فى شخص هتلر . وكما انساه شخص ابن البغدادى مأساة المغرب الحقيقية ، فقد انساه شخص هتلر الحرب ومأساتها وانساه مدح فرنسا والمباهاة بقوتها محنة الانسانية فهجا هتلر بمثل ما كان يهجو به اعداءه او اصدقاءه الذين تخلوا عن صداقته ، ومدح فرنسا بمثل ما كان يمدح به قائدا يطمع فى نواله او ثريا يحنو الى صلته . حاول فى هذه القصيدة ان يتحدث عن ضحايا الحرب ولم يكد يبدأ حتى تذكر فرنسا مرة اخرى ، فقد كان أفقه الضيق ينحسر عندها ، وكان تفكيره يدور فى فلكها ، وبذلك كان هذا النوع من الشعر السياسى لا يقل تفاهة عن شعر الهجو او المدح ،

ومثال يمكن ان نلاحظه فى شعره الاجتماعى الذى تمثلـــه قصيدتا «الاصلاح» و«البؤساء» فالافق الضيق لم يستطع ان يرتفع بشعره الى مستوى الموضوع الذى تناوله والذى لا اشك ان مناسبة ما أوحت به .

وهذا الافق الضيق يكاد يطبق على الشاعر حتى حينما يخلو فى شعره الى نفسه ـ وخلواته النفسية ذات ابعاد رائعة أحيانا كما سنرى ـ فقد ضاق ذرعا بحظه العاثر ، وكان يتوهم ان مهنة الشعر هى السبب ، فانطلق فى بداية طيبة لقصيدة كادت ان تكون رائعة :

صنعـة الشعر لقد عـــا ... فتـــك نفسى فاتركينـــى
أدبـــرى عنـــى بوجـــه ... والقفـــا منـــك أرينـــى
استريحـــى وأريحـــى ... منـك ذا الحـــظ الغبيـــن
سئمت واللـــه عينـــى ... مـــن محيـــاك اللعيـــن

ويمضى الشاعر فيطلب لصنعة الشعر ان تتصل بغيره ، ويصف هذا المنكود الحظ برباعيات طريفة ، وهى انعكاس لما يرى عليه نفسه فيقول فى بعضها :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والزميـــه ان تبـــولى ... مفعـــم القلب كآبـــة
واهما من بعد هجـــو ... أنـــه صفى حسابـــه
واخدعيـــه بوصـــال ... منك ينسيـــه كآبـــة
وهـــو لـــولاك عشيرا ... لم يصبـــه ما أصابـــه

واجعـــلى منـه حليفـــا ... لسهـــاد فى الليـــالى
عاصرا فكـــره عصـــرا ... فى يتيمـــات الـــلآلى
مجهـــدا نفسه حتـــى ... يجتليهـــا ذات بـــال
ثم يهديهـــا الى مـــن ... بقريـــض لا يبالـــى

هذا الجو الرائع الذى وفره لهذه القصيدة سرعان ما حد أفقه مدح تافه أزرى بهذا الشعر، فتخلص ـ فى غير ما حاجة الى التخلص ـ ليمدح الكلاوى بمثل هذا الهراء التافه :

بل انا ان قلت شعـــرا ... جئتـــــه طالب درس

وتلقانـــى بأفكـــا ر لها اشعـــاع شمس
فهو لى صيقـل فكـــر وهـــو ريحانـــة نفسى
يتجـلى لـــه نـــور ان ذاك النـــور قدسى

* * *

صنعـة الشعـر امنحينى مـــن يواقيت النظـــام
برصين القول جـــودى انه فخـــر الانـــام
وهمـــام مـن همـــام من همـــام من همـــام
غـــرر الشعـــر هبينى انـــه الباشا التهامـــى

انه الافق الضيق يحد من انطلاقة نفسه ويمنعه ان يخلو اليها حتى فى خلواته الثائرة التى توحى بها بداية القصيدة .

وهذا الاضطراب الغريب فى نفس الشاعر كما تصوره هذه القصيدة ليس الا تعبيرا عن الحياة التى عاشها ، فهو متمرد على واقعه متمرد على كل ما يملك وأحسن ما يملك وهى صنعة الشعر ، ولكن الواقع لا يلبث ان يشده اليه فيعود الى مدح ولى نعمته ويتخلى عن الافق البعيد الذى بدا ينطلق فيه ليعود الى افقه الضيق ، الى الكلاوى الذى يرى فيه شعاع فكر وفخر أنام .

واذا كانت هذه القصيدة قد فضحت فشل الشاعر فى التحرر من أفقه الضيق ، فقد استطاعت ان تصور حياته اروع تصوير وان ترسم أروع رسم صراع الارادتين ، ارادة التحرر :

قبـــح اللـــه زمانـــا عاش فيه الحر رقـــا
وتـــرى رب القـــوافى يسعـــد الغيـــر ويشقى

وارادة العبودية :

فيـــه ان قلت مديحا نـال مدحى كـــل مـدح
وكفـــانـــى أننـــى فى روضـــة طائـــر صدح

ولكن هذا الافق الضيق استطاع ان يتسع قليلا ليطل على أبعاد نفسية

وشخصية فى الشعر الذاتى الذى قاله الشاعر لنفسه ولم يكن فيه مرتبطا بشخص يمدحه او يهجوه ، ولم يكن يفكر فيه فى مجتمع خاص او عام .

لقد خلا الشاعر ابن ابراهيم الى نفسه طويلا ، ومن المؤسف الا يكون انتاجه الشعرى من الوفرة بمقدار وفرة خلواته ، ولكن هذا القليل الذى تركه قد شق آفاقا شعرية طيبة قد تشفع لما رأيناه من ضيق الآفاق .

وتمثل قصيدة «اعترافات» هذه الآفاق النفسية التى حاول ببعض شعره ان يشق طريقه اليها ، وأرى ان هذه الآفاق متجلية بخاصة فى التناقض الذى يشهده بين واقعه وما اليه يطمح :

لكم أدعى علما وحسن ثقافة ... أخو الهزل فى جد وذو الجد فى الهزل
نعم أنا ذو فضل فغطته سيرتى ... وما جاهل الا ومن فوقه جهل
وأرمى بنفسى فى صفوف أراذل ... فما انا ذو فضل وان كنت ذا فضل
وقضيت عمرى هكذا فى تناقض ... ولست لهم شكلا وليسوا على شكلى

ويروق شعره كلما كان ملتزما مع حياته ، وقد ابدع فلخص هذه الحياة فى هذه القطعة الرائعة :

ولست ترانى واصفا غير خمرة ... اذا كنت فى حفل وطاب لى الشرب
يمازجها الساقى فيطفو حبابها ... أيطفو بسطح الماء لؤلؤه الرطب
او الحدق المرضى وهدب شفارها ... اذا ما ارتخت فى خدها تلكم الهدب
أو البانة الميساء أحرم ضمها ... وقد ضمها ويلاه فى أهيف ثوب

هذا هو الافق الذى شقه ابن ابراهيم ونجح فيه : خمريات وغزل مادى وتعبير عن الحياة التى استغرقت حياته .

وقد بلغ غاية الروعة فى تصوير وضعه الاجتماعى فى الحوار الطريف مع الفأر ، فقد وصف بؤسه وحرمانه ، وعاد ليؤكد ان الادب والشعر هما سبب حرمانه وان المال هو سيد الحياة ، ولكنه كان أروع منه وهو يخاطب الفأر :

كان بيتى كسماء ... نحن فيه فرقدان

وتفوق على نفسه فى هذه القطعة :

بسم الفـــــأر بخبث　　بسمة فيهـــا ازدرانـــى
قال لى : ـ والقول منه　　مثل سهم قـد رمانى ـ
كـــل ما قلتـه حـــق　　وغنـــى عـــن بيـــان
وهو عذرى حين عـن بيـــــتـــك ألـــوى لعنانـــى
ما الذى افعـــل فى أر　　كـــان بيت رمضانـــى

ويستمر الحوار رائعا قويا :

قلت والقلب من الغيـــــظ يعانى مـــا يعانـــى
هكذا تنكـــر عهـــدى　　هكـــذا ياابن الزوانـــى
أمن أجل المال أبقـــى　　مفردا مـــن دون ثانى
وكذا حتى من الفئـــــران أرمـــى بهـــوان

ان ابن ابراهيم كا نفى حاجة الى الاخلاص لالتزاماته واهتماماتـه وحينما كان يخلص كان يقول شعرا .

ولن تنسينا آفاق المضمون آفاق الشكل فى اختيار الكلمة والعبارة والاسلوب ، ولعل افق الشكل كان اضيق من افق المضمون ذلك ان اختياره للكلمة والتعبير والاسلوب لا يدل على عمق ثقافته الادبية ، ولا يدل بالتالى على انه كان يتوفر لشعره بقدر ما كان يتوفر للذات حياته ، لقد امتاز شعره بالسلاسة ، ولكنه امتاز كذلك ببساطة التعبير بساطة تبلغ حد الانحلال فى كثير من الاحيان ، وفى شعره كلمات وعبارات وأبيات تكاد تكون عامية ساذجة ، ولذلك تجده يلجأ الى مثل هذه الكلمات : من باب أولى واحرى ـ انظرى غيرى ـ سيما ـ طرا ـ لعله ـ سوائى ـ قيل وقال ـ الشكوى الى الله وحده ـ كذا التاريخ ، كيف المآل اذا تكون الحال ـ .

وتبلغ به السذاجة احيانا حتى يصبح شعره كمنظومات الوعـظ والارشاد ، وتمثل هذه السذاجة فى الاسلوب قصيـدة «الاصلاح» التى كانت أشبه بمنظومات وعظية رغم ما توفر لها من ثورة على الاوضـاع الاجتماعية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولكن اسلوبه يمتن ويقوى كلما توفر فى شعره الاخلاص لاهتماماته والتزامات حياته ، ولذلك فالجيد من معانيه يوفر لها فى الغالب اسلوبا جيدا مختارا ، وذلك عكس الرأى الذى عبر عنه حينما قال :

واذا ما القريض قد راق لفظا فالمعانى من باب أولى وأحرى

ان معانيه هى التى كانت تسوق الفاظه وتعابيره واسلوبه ولذلك فكلما وفق فى معنى جيد استطاع ان يصوغه فى اسلوب جيد .

تلك آفاق الشاعر ابن ابراهيم ، وما أحسبنى ظلمته بقدر ما انصفته، واكبر انصاف لشاعر جنت على شعره حياته ، هو التجرد من تأثير هذه الحياة ان سلبا وان ايجابا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كلمة غريبة في العربية

محمد بهجت تاوبت

يقول طرفة فى معلقته :

كأن حدوج المالكيـــــة غـــــدوة خلايـا سفين بالنواصف من دد

ويقول الاعشى :

اترحـــــل عن ليـــــلى ولما تزود وكنت كمن قضى اللبانـة من دد

ويقول الطرماح :

واستطرقت ظعنهم لما ارتحلوا بهم آل الضحى ناشط من داعبات دد

وقال النبى عليه السلام : ما أنا من دد ولا الدد منى .

فما الدد هذا ؟

قالوا انه فى شعر طرفة موضع بعينه ، وذكرته لذلك كتب الجغرافية القديمة ، من غير ما تعين له موقعا .

اما فى شعر الاعشى والطرماح وفى الحديث الشريف ، فقد قالوا ان معناه اللهو واللعب والطرب ، او هو فى شعر الطرماح حكاية الاستنان للطرب ، وضرب الاصابع فى ذلك .

وعلى كل حال فانه فى معناه العام لا يخرج عن اللهو والطرب . ولا ندرى هل لذلك علاقة مع كونه علما على موضع بعينه ام ان هذا وضع هكذا علما ارتجاليا ؟

وروى فى شعر الطرماح ددد بثلاث دالات ، كما روى فى الحديث ددا بألف بعد الحرفين .

والى جانب دد هذه ، هناك ددن وددان ودد بالتشديد .

اما الاول فقد ورد فى شعر ابن مقبل على انه علم على موضع ايضا وهو قولـــه :

يثنين اعنـاق أدم يختلين بهـا حب الاراك وحب الضال من ددن

فاستشهدت بهذا البيت كتب الجغرافية القديمة كما فعلت فى الاول.

وورد كذلك بمعنى اللهو واللعب فى شعر عدى حيث يقول :

أيهـــا القلب تعلـــل بددن ان همـــى فى سمـاع وأذن

واما الثانى ، فقالوا ان معناه الرجل لا غناء عنده ، والسيف الكهام؛ وانشدوا لهذا قول طفيل :

لو كنت سيفا كان اترك جعـرة وكنت ددانا لا يغيره الصقـــل

والى هذا كلـه فهناك الديدن والديدان ، بمعنى الدأب والعادة ، وانشدوا للاخير قول الراجز :

ولا يزال عندهـــم حفانـــه ديدانهم ذاك وذا ديدانـــه

كما ذكروا للهور الديدبون . وجاء ابن الاعرابى ، وجعل جميع الدد والددا والديد والديدان والددن والديدبون للهو ولم يذكر الدد بالتشديد الا ابو عمرو المطرزى ، ونقله عنه الشيخ رضى الدين الشاطبى ، كما رأى ذلك بخطه صاحب اللسان كما انه لم يرد ذكر الكلمة ددد بثلاث دالات الا فى احدى روايات شعر الطرماح ، فقالوا انها لما وردت صفة كسعها الشاعر بدال ثالثة ، لان النعت لا يكون الا بذوات الثلاثة فاكثر من الحروف، يعنون ان النعت فى اصله متصرف وذلك اقله ثلاثة حروف . فاذا اردنا ان نشتق فعلا منه لم يفصل فيه الا بين حرفى الصدر بالهمزة ، فيقال دأدد يدأدد ، وكذلك فى مصدره يكون دأددة ، اما اسم الفاعل فلم يسمع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فيه الا الدادى ؛ الذى يقال لكل مولع باللهو لا يكاد يبرحه.

هذا ما يتصل بكلمة دد وفروعها ، ونقول فروعها لاننا نعتقد اصالتها فى بابها ، فقد خلقت هكذا دد ثم استولت عليها اللغة المحافظة على تقاليدها وطقوسها ، فأخضعتها للقوانين المعمول بها ؛ والتى تقضى بان يكون اقل الكلمة المتصرفة ثلاثة احرف ، فقيل : ددا ودد بالتشديد ، وددد ؛ وديد وديدن وديدان وديدبون الى آخر الاوزان المذكورة .

ثم مع هذا قيل لا توجد فى العربية كلمة فاؤها وعينها من جنس واحد ـ مع اتصال ـ الا هذه .

اذن فمن الذى وضع هذه الكلمة ، التى تورطت العربية باحتضانها اياها ؟

الواضع لكلمة دد هذه هم الاطفال ، واستعمال الكلمة فى اللهو واللعب والمزح يلمح الى ذلك ثم صارت الكلمة تتعدى حدود الصغار الى الكبار ، فاحتاج هؤلاء الى صوغها فى قوالب لغتهم كما قلنا .

ودليلنا على هذا ما نجده فيها من شذوذ باجتماع فاء الكلمة وعينها على جنس واحد من الحروف مع الاتصال وذلك على حين نجد هذا الشذوذ هو القاعدة العامة فيما يخترعه الاطفال من كلمات ، تفرض علينا بعض الاحيان ان نجاريهم فى هذا حينما نخاطبهم او نداعبهم ، وهذه امثلة لذلك، نجدها تستعمل فى عالم اطفالنا .

ببا ، ببا Papa للخبز ببو Papo للسيارة ، ببيا للكعكة او الخبيزة ؛ تتا للثدى ؛ تتوش للكعيكات التى تعمل للصبى او يعلمها هو، تشتشو لما يوكل من اللحم ، تشتشا تحضيضا لـه على الجلوس (كلهـا بالتشديد) ححو بمعنى الجرح والالم عامة ، خخى اى قبيح ، خخو بمعنى وسخ ؛ ددوش لاغرائه بالمشى مع الاخذ بيديه ، ددو لما يشرب من الماء ، (كلها بالتشديد) سسى لتخويفه به ، كما يخوف ببعبع ؛ سسو بمعنى طعام الكسكس ، ششا للدابة ؛ ششوبين يستعمل فى لعبـــه لهم ، ككح للقبيح المكروه ككو للدجاج ؛ ككو (بالتشديد) للحلواء مما ، ممى للطفل ، وممو كذلك (كلاهما بالتشديد) ننا للنوم ، ننو لما يستملح ويبهج وغير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه من الكلمات التى يستعملها الطفل دون آخر ، مما نلحظه فى استعمال اطفالنا على هذا النظام (I)، فان صح ان بعضا منها قد وضعناه نحن لهم ، فانه يدل على اذعاننا لاصول وضعهم وتقليدنا اياها قصد التفاهم معهم .

ومن استعراض هذه الامثلة ، نجد بعضها يستعمله الطفل ، وبعضها يستعمل له ؛ ولعله كان نفسه الواضع لها ، تقليدا لاصواتها فأسمائها كما فى سسو للكسكس ، وتقليدا لاصواتها هى كما فى ككو للدجاج وببـو للسيارة ، التى كانت منبهاتها تأتى بهذه الاصوات او تقاربها . على ان هناك بعض الكلمات صارت تخرج من نطاق الطفولة الى نطاق الكبار ، وتستعمل من باب السخرية او الاستهزاء ، كاستعمال «ششوبين» فيما رس بعضه فوق بعض وتوقع وقوعه ، او كان ذلك فى غير نظام . وكله على التشبيه بتلك اللعبة ، التى توضع فيها الاكف فوق بعض فى نظـام غير محكـم ، وتنتهى الى التشويش والانتشار .

وهذا الخروج هو ما حصل فى كلمة دد المذكورة ، وما حصل فى كلمة ننى المستعملة فى التركية بمعنى ترنيمة الطفولة . واما بما ومما ، فقد طربت لهما آذان الكبار ولم تستطع مفارقتها بفراق الطفولة وبهذا تمكنتا من جل لغات العالم ، على ما فيها من اختلاف النطق بهما فى تلك اللغات المتباينة او المتقاربه .

والنتيجة ان «دد» بمعنى اللهو واللعب والمزح ان هى الا من وضـع الاطفال فى اول الامر ، وهو السر فى نشوزها عما عرف فى ابنية الكلمات المتصرفه من اتساق فى الحروف .

وهناك كلمة اخرى ، فيها هذا النشاز ، وهى كلمة «الببر» .

ولكن هذه الكلمة ليست فى اصلها عربية ، بل هى فارسية؛ استعملها لاول الامر ، كما يبدو عبد الله بن المقفع فى ترجمته لكتاب «كليلة ودمنة»،

(I) لاحظت على طفلين لى احدهما سمى (المتعلمة) «كا» بتشديد الكاف المعقودة ، وان الآخر سماها «ككا» ؛ مع ان اسمها الزهرة ولم يقلد احدهما الآخر فى هذا الوضع ، بل كان الفصل بينهما اربع سنوات فى هذه التسمية الغريبة من حيث التقارب ، وسمى احدهما خاله «ددو» واسم هذا عبد العزيز.

والاجماع على ان الحيوان الذى يسمى بها ؛ وهو نوع من الاسد ، انما هو هندى فى اصله كما يقول الجاحظ فى «الحيوان» ، وفيه ياتى بقصيدتين لبشر بن المعتمر ذكر فيهما هذا الحيوان بقوله :

والببـــر فيـــه عجب عاجب اذا تلاقـــى الليث والببـــر

وقوله :

لو خلى الليث ببطن الـــورى والنمـــــر أو قد جىء بالببـــر

ونطقه فى الفارسية مثل نطقه بالعربية ، وان كان فى التركية ، خصوصا العثمانية منها ؛ يختلف بالفتحة بدل السكون او باشمام الفتحة الاولى .

والنتيجة ان الببر فارسى ، ولا ذكر له فى نصوص الجاهلية واوائل الاسلام ، وان اول من استعمله فى العربية هو عبد الله بن المقفع . ثم بشر ابن المعتمر فى شعره المذكور بالجزء السادس من كتاب الحيوان .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذكرى طفولة

عبد الرفيع الجوهري

لكل ربيع مضى من حياتى ... لذكرى طفولة عمر شريد
نثرت الورود أنرت الشموع ... وخلف جفونى صباح وعيد
ومن شفتى أطلت أغانى ... وفرحة ميلاد عمر جديد

* * *

نسيت هواى وقصة امسى ... نسيت الذى قد توارى وراح
هفوت لذاك الذى سوف ياتى ... عشقت الغيوب وطيف الصباح
لقد سرق الغد كل دموعى ... فلم أبك أمسا توارى واراح

* * *

على مزهر الشوق ذوبت روحى ... ولم ابك ذلك الذى لن يعود
فما ترجع الراحلين الدموع ... ولا يسكن العطر ميت الورود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قطعة من قلبين ! !

عبد القادر زمامة

طاردتها مجاعة عام خمسة واربعين ... كما طاردت آلاف البدويين وعبرت النهر لاول مرة فى حياتها وثبا على الاقدام ... بعد ان غاض ماؤه، واستحال مجراه الى خضخاض من طين تتصاعد منه اسراب الحشرات...! وتخوض كل صباح هذه الاقدام الحافية التى تقصد المدينة ، سعيا وراء لقمة العيش بعد ان شحت الارض والسماء ...!

ولم يكن لها ان تفكر فى بعد المسافة ، ولا ان تقدر عناء السفر على الاقدام من غير أنيس ولا زاد ... لان خيال المدينة ملأ منها السمع والبصر، وملك عليها المشاعر والحواس ... فلم تقف فى سيرها طيلة ساعات من بياض النهار وسواد الليل ... وتراءت لها هذه «المدينة» من بعيد تحت أشعة القمر ، فرات لاول مرة فى حايتها هذه الصوامع المتطاولة ، وهذه القصور الشامخة ؛ وهذه الاسوار المترامية الاطراف ، وقد احاطت بالمبانى من شرقها وغربها وملكت عليها طريق الامتداد والانطلاق ...

واستقبلتها الطرق والاحياء وهى تبحث عن ضالتها ... تستجدى الكرماء ، وتسأل الرحماء ، حتى اذا جن الليل ؛ آوت الى زاوية من تلك الزوايا التى سبقها اليها عشرات من ارامل المجاعة وايتامها ...

وعملت زمالة البؤس والغربة عملها فى هؤلاء ... ففتحت القلوب ابوابها ؛ واخرجت الضمائر اسرارها ... وسمعت «شامة» قصة بعضهن، وعرفت اسماءهن ، وتبادلت معهن التحية والحديث عن اخبار المحسنين والمحسنات ؛ والبخلاء والبخيلات ... وصاحبتهن بكرة وعشيا الى احياء المدينة وطرقها الملتوية واسواقها واضرحتها ... وحاولت بذلك ان تنسى قصتها الاولى ... لكن «شامة» كانت ذات قصتين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة الجوع الذى يطاردها ...

وقصة الجنين الذى يركض فى احشائها ...

وقد دنا المخاض ولا بد ان تجد نفسها قريبا امام مخلوق جديد ، يشاركها الحياة ، وتتحمل راضية او مكرهة أعباءه فكيف تستقبله ...؟

واين ...؟

وكيف تتحمل تكاليف الامومة ؟ وهى فى دار غربة ...! وجوع ...! وسمعت من زميلاتها وقد اجتمعن ذات مساء فى زاوية «سيدى على مزالى» حول طعام جادت به قريبة حاكم المدينة ... وهن ينظرن اليها فى حنان واشفاق ...

ـ ضعيه فى المستشفى ...

ـ اعطيه للراهبات ...

ـ اعطيه لدار «الخيرية»

لكن «شامة» كانت لا تطمئن لهذه الارشادات ... وتضع يدها على بطنها ، وترسل من عينيها فيضا ساخنا من الدموع ثم تقول :

ـ لا. لا, لست زانية ...

ـ زوجى هو «بوشتى»

ـ مات «بالتيفوس» ...

ـ فولدى ابن حلال ...

ـ لا أرميه ...

ـ لا أقتله ...

ـ لا اسلمه للنصارى ...

وسكتت شامة ... وسكتت الزميلات بعد أن القين على بطنها نظرة تبادلن بعدها نظرات غارقة فى ماء الجفون ...

وجاءها المخاض ... واسعفتها زميلات الغربة والبؤس بما تيسر من طعام دافىء .. وحصير .. وخرق .. واسمال ، ثم ودعنها بعد ان رقد الى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جانبها هذا الضيف الجديد ... وانطلقن يروين قصة النفساء لكل رائح وغاد ...

ومرت الاسابيع الاولى من حياة الوليد فى حضن امه ينعم بدفئها، وحنانها ، ولبنها ؛ وتنعم هى بهذا الشعور الذى تجده كل انثى تضع ذكرا ... وتقرا فى عينى وليدها ذكريات وصورا ، لزوجها (بوشتى) الذى اختطفته المنون منها وهو فى ميعة الشباب ...!

وواجهت (شامة) الاسابيع الاخرى بمرارة ، وألم ، وحيرة. وراحت تضرب فى احياء المدينة ، تطلب عملا فى منزل من منازل اهل اليسار ، لتضمن العيش المستقر لها ولهذا الوليد المحروم ...

وما كان لها ان تجد رغبتها بسهولة عند اهل المنازل ، وشبح المجاعة يهددهم صباح مساء ، ونظام التقسيط والتقنين شمل جميع المواد الضرورية للعيش ...!

فلم يبق امامها الا طريق واحد هو ان تستجيب لما سمعته من الزميلات، وتتخلص من الوليد ...! ولكن ذلك لم يتم الا بعد ان تدمى قلبها بطعنات...!

وعلى باب «الجوطية» وامام هؤلاء النساء اللائى يبعن الخضر والبقول وقفت لتصارع مشاعرها ، وتتحمل طعنات ضميرها وهى تقول فى نفسها:

- رحمك الله يا «بوشتى»
- لقد سعدت بموتك
- وشقيت بحياتى
- أما انت ياولدى «ادريس»
- فلمن أسلمك ...؟
- ومن يحنو عليك ؟
- ومتى أراك بعد اليوم ...؟

وضمته الى صدرها ، تقبله ، وتغسل وجهه بدموعها ، ثم لفته فى اسماله ومسحت دموعها وراحت تضرب الطريق طولا وعرضا لتهتدى الى «الحل» الذى تتخلص به من وليدها الرضيع ...! وكأن قائدا كان يقودها

نحو هذه المرأة الشابة الصبوح الوجه ، فدنت منها وخاطبتها فى تلعثم واستحياء :

ـ الله يطيل عمرك يابنت الاجواد ... هذا ابنى امانة عندك ... ريثما أرجع .. وقد خفت عليه .. من زحام الجنازة .. التى يفرق اهلها اليوم؟!؟ خبزة للراس ...!

ـ تأثرت «حادة» لهذه الثقة ... وأجابتها ... هو عندى حتى ترجعى بسلام ...!

ثم اقبلت على شأنها فى بيع البقول ومدت الرضيع الى جانبها فوق كيس بعد ما القت على وجهه نظرة عابرة ... اتبعتها زفرة مخنوقة ..

اما شامة فقد تخفف ذراعها من الثقل الذى نادت به طيلة اسابيع... لتشعر منذ اللحظات الاولى بثقل اعظم والم أكبر يحز فى نفسها ، ويطاردها، ويصارعها فى كل مكان ...

وانطلقت تبحث عن مأوى آخر فى زاوية اخرى من زوايا البؤس . ليلا تسألها الزميلات عن «ادريس» ومصيره . وليلا تتحمل من ثرثرتهن وفضولهن ما يزيدها حسرة والما .

لكنها ارتبكت وساورتها المخاوف على مصير وليدها ، ان صراخه يطاردها ... ان صورته لا تفارقها ، ان لبنه يملا ثديها ! سيظل جائعا...! سيظل باكيا !.. سيمرض ..! سيموت ..

ولم يكن «لحادة» ان تظل فى السوق وقد نفدت بضاعتها وجاء الليل... ولم يكن لها ان تنتظر ام الرضيع فى الليل كما انتظرتها فى النهار ... ترى هل ماتت فى الزحام ...؟ هل ذهبوا بها الى «الفوريال» ؟ مسكينة تركت رضيعها ...!

واخذت صرة النقود التى كانت مربوطة على صدرها وراحت تعد راس مالها وتعد ربحها مثنى وثلاث ورباع ...! ثم تنظر الى هذا العبء الذى اصبح ثقيلا على كاهلها ، فتتألم وتقلق وتلعن تلك الساعة التى قبلت فيها هذه «الامانة» ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم نهضت لتحمل قفتها وكيسها فى اليمين ... والرضيع واسماله فى اليسار ,,. وتذهب متثاقلة الى مركز الشرطة القريب منها .. وكم كانت دهشتها عظيمة حين اوقفها الكاتب امامه ليستنطقها فى حدة وصرامة كانها مجرمة سقطت فى يد العدالة ثم سألها قائلا :

ـ ما اسمها ...؟

ـ لا أدرى ...

ـ ما سنها ...؟

ـ لا اعرف ...

ـ هل لها علامة فى وجهها ...؟

ـ نعم ! لها وشم فى ذقنها...

ـ ما ذا تلبس ...؟

ـ اسمالا ممزقة ! اعلاها ابيض واسفلها ازرق ...

ولم تغادر المكتب حتى اعطت اسمها هى وعنوانها وحرفتها . وختمت التقرير ببصمة ابهامها ... والتزمت بكفالة الرضيع حتى تظهر امه ,,. بعد اجراء البحث عنها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعلى عتبة الباب افاقت من غشيتها وكانها كانت تقطع بحر الظلمات ووقفت منه على ساحل النجاة ,.. وقالت فى نفسها :

ـ لم لا اتخذه ولدا ...؟ لم لا أربيه ,..؟ وانا العقيم التى ما زلت أشعر بعقدتى منذ طلقنى زوجى واحتفظ بضرتى الولود ...؟

ومن ساعتها اصبحت أما رءوفا ,..!

تغدو لدار نقطة الحليب فى الصباح الباكر ,.. وتحمل الرضيع معها الى السوق ليظل الى جانبها وهى تبيع بضاعتها ، وتقطع فضول زميلاتها فى السوق ,.. فتجود على «ادريس» وهى لا تعرف اسمه الحقيقى بما تبخل به على نفسها ,..

ومرت شهور واصبح منظر «حادة» وهى تحمل الوليد امرا مألوفا عند الجيران والمعارف والزبناء ، ودار الفلك دوراته العادية فكبر الطفـــل

واختارت له الام الجديدة اسما جديدا ...!

فهو «محمد» ابن «حادة» لا شك فى ذلك ولا ريب ! بذلك كان يدعوه اطفال الحى ... وبذلك عرف عند «فقيه» المكتب الذى استقبله كما استقبل غيره من الاطفال يوم عاشوراء ... يحمل فى يده اليمنى لوحـــا خشبيا جديدا ... وفى يده اليسرى شمعة خضراء ... وعلى كتفيه «جلباب» من حرير ... وقد دتدلت على ظهره تلك الظفيرة السوداء التى لم تبخل عليها «حادة» بشىء من خيوط الذهب والحرير ...

وكانت اسعد ساعات الطفل هى تلك التى تعانقه فيها امراة مجهولة لديه عناقا حارا وتقدم له قطعة من الحلوى . وتدس له فى جيبه اخرى وتقول لـــه :

ـ لقد كبرت يا ادريس !

ولكن الطفل لا يعرف من هو ادريس هذا الذى كبر ... وانما يقبل على الحلوى يقضمها باسنانه قضما ثم يطلق ساقيه للريح ليرجع الى بيته قرير العين بحظه السعيد ...!

وكانت «شامة» قد وقفت بها فلك بؤسها عند الشاطىء الامين ... فاصبحت حارسة ومنظفة فى احدى مدارس الاطفال ... واصبح لها مسكن معلوم ، واجر مضمون ... وشعر اطفال المدرسة جميعا بحسن استقبالها اياهم فى الصباح الباكر ... وحسن توديعها حينما تقف فى المساء لتشيعهم بنظراتها المنكسرة وكلماتها الطيبة ومساعدتها المتكررة ... وهم لا ينفكون يخاطبونها باللقب المحبوب لديها وهو :

أمى شامة ...

وذات صباح تعجب الاطفال ! وهمهم الامر ! حينما لم يروها كعادتهم فى مدخل المدرسة ، ولكن احدهم استطاع ان يكتشف السر وان يدخل مكتب المدير ليقدم له رسالة من عائلته ...

فرآها جاثية بين قدميه تبكى بدموع حارة وهى تقول :

ـ ادريس ! ادريس !

ـ ولدى ! ولدى !

ـ ودعته ابن ايام ,..

ـ وهذه سنوات وانا صابرة عليه ..!

ـ ارجوك ,.. ارجوك ,.. مساعدتى

ـ متى اراك يا ادريس فى هذه المدرسة ؟

وخرج التلميذ ليخبر زملاءه بما سمع وراى ,.. وشاع الخبر بين الناس .

ولم يكن بد من ان تقول العدالة كلمتها ,..

ولم يكن بد من ان تقف «حادة» و«شامة» امام القضاء .

ولم يكن بد من ان يقف الطفل الذى يحمل اسمين بينهما ذاهـــلا متحيرا ,.. وقد صار قطعة من قلبين !!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

منزلة الشابي في الادبين الشرقي والغربي [1]

المنجي الشملي

يطيب لي ان اشارك في هذا المهرجان تكريما للشعر ولشاعر تونس الطائر الصيت : ابي القاسم الشابي ، بمناسبة مرور 29 سنة على وفاته . وانها لسنة طيبة هذه التي تسنها دار الثقافة بتونس ، ولئن كنت مبتهجا ان يرتفع صوتي في هذه الدار للمشاركة في زيادة التعريف بالشابي فاني ارجو ان يتذكر التونسيون والمسؤولون على الثقافة ان عليهم دينا نحو أدباء تونسيين مجهولين او مغمورين او مهملين ، يحسن ان تكرم ذكراهم وان يعرف بهم في مهراجانات واسابيع ثقافية ، وملتقيات علمية ، فكم مر علينا من شهر ديسمبر بدون ان نسمع للطاهر الحداد ذكرا، وكم مر علينا شهر ماي بدون ان نعلم عن علي الدوعاجي شيئا ! وغيرهم كثير ... تحتفل بهم الامم الاخرى العربية وغير العربية وتنزل بهم وتسلبهم تونسيتهم عن قصد وعن غير قصد ، عن حسن النية وعن سوء النية ايضا .

على كل ، هو ذا الشابي يكرم اليوم ، ونعم هذا التكريم الفاتح لهذه السنة الثقافية ولا أخال احدا ينكر سيرة ابي القاسم التي اضحت تشهد بفوز هذا الشاعر وتشهد باهمية الرسالة التي تضمنها ادبه . فالحديث عن شاعر «ارادة الحياة» ظل زينة المحافل والنوادي وبضاعة نافقة في الصحف والمجلات والاذاعات وموضوعا الهم الادباء والمتأدبين والشعراء والناظمين والنقاد والمنتقدين .

ضجيج متزايد متصاعد حول الشابي وشخصية الشابي وشعر الشابي

---

(1) محاضرة القيت بدار الثقافة بتونس ، في نطاق «مهرجانات الشعر في ذكرى الشابي» الذي أقيم بتونس من 25 اكتوبر 1963 الى 29 منه .

حتى فتن الناس به ولا يزالون ، بقصائده يتغنون والى ديوانه يأنسون ، ونعم الانيس هو ونعم الجليس !

ورغما عن هذا الضجيج المتصاعد فالنتائج الثابتة المنزلة للشابى منزلته الحق فى الادب العالمى لا تزال ضعيفة لا تقنع . فلئن اصبحنا نعلم بصورة مقنعة تقريبا اخبار ابى القاسم وترجمته فما زلنا لا ندرى بالضبط ظروف زواجه ـ هذا التحول الخطير فى حياة كل حى ـ وما زلنا لا ندرى بالضبط العلمى ظروف مرضه ونوعه : أهو مرض القلب ام مرض السل أم الاثنان معا تواطآ على شبابه الغض فهلك فى سن الخامسة والعشرين.

ونحن ما زلنا لا نعلم بالضبط فلسفة هذا الشاعر ـ رغما عن تذوقنا لشعره او قل لشدة ما نجده من لذة فى تذوق شعره ! ـ ولا اسس تفكيره ولا قيمة شاعريته ومضمون وجدانيته وهذا العمل شاق ما فى ذلك شك، كثير المزالق اذ هو يقضى بتتبع مراحل تكوين الشابى الفكرى وضبط كل ما كان يطالعه من الادب العربى ، وما عرف من الادب الغربى مترجما الى اللسان العربى .

ولئن رغبنا فى ان نشارك فى توضيح شىء من هذا الغرض بقدر ما تسمح به دقائق معدودات ضبطت ضبطا فلنتساءل فى بادىء الامر عن المعطيات الاساسية فى تكوين ابى القاسم .

ما انا راغب فى ان افكك الحديث موضحا التكوين التقليدى الذى كان من نصيب الشابى فى الزيتونة اذ نعلم جميعا ان والده ـ وقد تخرج من الازهر بالقاهرة بعد ان تخرج من الزيتونة بتونس ـ رغب شديد الرغبة فى ان يقتفى ابنه اثره ، فوجهه الى الجامع الاعظم سنة 1920 وهناك احرز الشاب على شهادة التطويع سنة 1928 يوم كانت البرامج فى الزيتونة تقليدية عتيقة قروسطية .

تلقى الشابى اذن ـ فى أول امره ثقافة عربية اسلامية تقليدية صرفة وسوف لن يتخلص منها تخلصا كاملا مهما تطور شعره ومهما اتسعت معارفه!

ولكن الشاب الزيتونى لم يرتح الى هذه الثقافة واحس فى نفسه توقا دفعه الى تجاوز هذه المرحلة واصبح عضوا فى مجلس اصلاح التعليم

بالزيتونة يطالب بتعصير البرامج وتجديد المناهج ...

ووجد الشابى نافذة منها يطل على الحياة ! فقد تأسس فى تلك الظروف معهد له كبير الاهمية وبعيد الاثر فى تطوير الثقافة التونسية يومئذ وهو معهد الخلدونية ، انشأه الوطنيون التونسيون القدامى لتمكين الزيتونيين من توسيع آفاق معرفتهم وبالتالى تجديد تفكيرهم .

* * *

وكان هذا المعهد ملتقى للثقافة العربية ـ التقليدية منها والجديدة ـ والثقافة الغربية المعربة اللسان .

تمكن الشابى من الاطلاع ـ بفضل مكتبة الخلدونية ـ على آثار ادباء المشرق العربى الحديثين وادباء المهجر بالخصوص . فلقد التهم ـ شأنه فى ذلك شأن الكثيرين من اترابه ـ ما كان ينشر فى مجلة المنار المصرية التى كان يصدرها الاستاذ الامام محمد عبده وزميله رشيد رضا . وما هى الا ان أولع بأدباء مجددين ـ متأثرين فى تفاوت بالآداب الغربية كطه حسين (وقد اشتهر يومئذ بكتابه الذى فتح العيون النائمة وهز العقول المسترخية والذى عنوانه : فى الشعر الجاهلى واستحال ... «فى الادب الجاهلى») وكعباس محمود العقاد (وقد اشتهر يومئذ بـ «بفصوله ومطالعاته فى الكتب والحياة ، وساعاته بين الكتب») وكمحمد حسين هيكل (وقد اشتهر يومئذ بروايته القصصية «زينب» وهى قصة تسجل مشاكل الحياة الريفية والاخلاق الريفية وتبدو فيها علامات التأثر بكتاب ايلويز الجديدة لروسو واضحة).

ولعل من اهم ما طالعه الشابى فى مكتبة الخلدونية اثار اصحاب المدرسة السورية اللبنانية بامريكا والشهيرة **بمدرسة المهجر** . ونعلم ان جبران (المتوفى سنة 1931) وهو ابرز عناصرها انشأ جمعية كان لها بعيد الاثر وطيب الاثر فى توجيه الشعر العربى الحديث بل قل فى الادب العربى الحديث باطلاق وهى : **الرابطة القلمية** (سنة 1920) ولا نبالغ ان اعتبرنا هذه الرابطة اول مدرسة رومنطيقية حقيقية عرفها الادب العربى الحديث وجبران هو الذى اوحى مبادئها وهو المتأثر بعيد الاثر بالادبين الانكليزى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والفرنسى وبالحركة الرومنطيقية على الاخص وهو المولع بنيتشه الالمانى ايما ولع حتى اتخذ تآليفه انجيلا له ! وشارك فى هذه الرابطة الكاتب الانسانى ميخائيل نعيمة ورشيد ايوب وندره حداد ثم التحق بهم ايليا ابو ماضى . وعلى سبيل الاشارة الى «الميثاق الفلسفى» لهذه الرابطة نلمح فى غير ما تحليل الى ان جميع اعضائها يؤمنون بان الانسان يجب ان يسعى الى ايجاد حالة فضلى فى الحياة وان يجتهد فى تجاوز متناقضاتها الظاهرة كتناقض الخير والشر وتناقض الروح والجسد وتناقض القلب والحس وتناقض المثال والواقع ...

وسيبقى جبران خليل جبران المعلم الاكبر فى نظر الشابى وصاحب «الاجنحة المتكسرة» و«العواصف» ... حتى انك واجد ـ بدون عناء ـ وجوه شبه عديدة ، غريبة احيانا ، بين فقرات من «العواصف» هذه القصيدة الشعرية ذات النثر المرصع الخلاب وقصائد من «اغانى الحياة» ...

ولم يفت الشابى ان يبلغ الى شىء من الادب الغربى فى هذه المرحلة من حياته بسوق العطارين ـ اعنى الخلدونية حيث طالع على الاقل كتاب «رفائيل» للكاتب الفرنسى لامارتين و«فرتر» للكاتب الالمانى غوته فى النص العربى ... وهكذا التقى الادبان القديم والحديث او قل سعى الشابى الى لقاء الادبين ، فزاد تعطشه الى ادراك اصيل الادب ، واصبح دابه ؛ على قرب عهد بثقافة جامدة ، وان كانت موسوعية شعارها الايمان بمبدا الامامة فى المذاهب ، واكبار السلف ـ وان كانوا شر سلف ـ وسرعة التاويل وقلة الاستنتاج .

* * *

ان الشابى سيلتقى بالادب الحديث فى محفل آخر : وهو النادى الادبى الذى اصبحت ترعاه جمعية قدماء الصادقية (خصوصا ابتداء من سنة 1927 حسب ما افادنى به السيد الهادى العبيدى مشكورا) . وكانت مكتبة هذا النادى اغنى من مكتبة الخلدونية بالمترجمات عن الآداب الغربية عموما والادب الفرنسى خصوصا ... وتسنى لابى القاسم ـ على اغلب الظن ـ الاطلاع على جانب وافر منها ان نحن اعتمدنا ما جاء ملوحا اليها فى نثره ،

يمكن الجزم اذن انه اطلع ـ بفضل هذه المكتبة ـ على المؤلفات التى تعتبر الآثار الاساسية التى خلقتها الحركة الرومنطيقية الاوربية ،

والغالب على الظن انه التهم اثرا كان له بعيد الصدى فى الادب المصرى بل فى المجتمع المصرى وهو «سر تقدم الانكليز السكسونيين» الفه ادمون دى مولان (E. des Moulins) وترجمه فتحى زغلول وليس هنا مجال لذكر الضجة التى احدثها والردود التى اثارها ...

ولا شك انه اطلع على النص المعرب لكتاب برناردين دى سان بيار B de St Pierre والموسوم ببـول وفرجينى او الفضيلـة ، وكتاب «الشهداء؟» لشاتوبريان (انظر العبرات) وكتاب «فى سبيل التاج» لكوبى Coppée وتحت ظلال الزيزفون «لا لفونس كار» (A. Karr) ومترجمات عن لامارتين وهيجو وفينى وموسى واوسيان ...

ما من شك ان هذه المطالعات زكت ثقافة الشابى وهزته هزا قد يكون عنيفا ولكن مهما تكن المطالعات واسعة متنوعة فان لقاحها للفكر لا يبلغ خصوبة لقاح الاتصال المباشر بالناس والنفوس والجدال ـ وقد كان النادى الادبى (تولى الله بحفظه من صمتوا عن التعريف به وبملفاته ... من الذين مازالوا على قيد الحياة يرزقون...) ملتقى للمدرسيين الذين اسعفتهم الصدفة على التعلم بالصادقية والزيتونيين المؤمنين بضرورة التطور الفكرى والتجديد الثقافى . وكان الصادقيون ـ بحكم تكوينهم الفكرى ، متحررين ، مندفعين الى التطور وكانوا كثيرا ما يبهرون اخوانهم الزيتونيين ... وانتبه الشابى وكان اليوم الموعود يوم اعلن ابو القاسم انه قد انحلت عنه رابطة التقليد وانكسرت عليه العقائد الموروثة يوم المحاضرة عن «الخيال الشعرى عنـــد العرب» .

كان ذلك فى العشرين من شعبان 1348 (الموافق لغرة فيفرى 1929) : مسامرة القاها ابو القاسم بقاعة الخلدونية تحت اشراف النادى الادبى لجمعية قدماء الصادقية . حاضر ابو القاسم فى ذلك اليوم ـ او سامر فى تلك الليلة ـ ولم تكن تلك المحاضرة ـ فى نظرنا ـ محاضرة ادبية رغما عن موضوعها الادبى البحث ولكنها محاضرة اجتماعية سياسية وان لم يسلك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الخطيب فيها مسلكا سياسيا وانما هى التعبير عن موقف رجل سئم الجمود وسئم الضعف لامته وسئم الظلام لشعبه وسئم العقم فى ادب شعبه فصاح صيحة افزعت النيام وافقدتهم توازنهم فقلقوا ... وبعثت المخلصين لامتهم على التفكير ومحاسبة النفس وحسبك دليلا ما يقوله احد رواد العمل الثقافى فى تونس عنيت السيد زين العابدين السنوسى فى المقدمة التى كتبها للطبعة الثانية من هذه المحاضرة يقول : «لما سمعت هذه المسامرة لاول مرة خرجت من قاعة الاجتماع **مهتم العقل** اكثر مما كنت منبسط النفس بل يمكننى ان اقول انى خرجت من تلك الجلسة منكمش النفس واجفها مع انى كنت ممن صفقوا لاكثر مقدماتها والمعجبين بدعاماتها ... بل كنت انا نفسى الذى قدم حضرة المسامر الى مئات المستمعين منوها بنبوغه الباكر ووجهته فى التجديد الادبى».

وليس المجال متسعا هنا لتحليل هذه المحاضرة ونقدها وحسبنا اعتبارها مرحلة هامة فى تحرير الفكر وتجديد الادب فى تونس ، لا لما تضمنته من الاستنتاجات الادبية ولكن لشجاعة صاحبها العجيبة وثورته المدوية حقا على قوى الجمود فى عصر كان فيه الفكر الحر يضطهد اضطهادا ويهان فيه «الاحياء» فى عصر كان فيه الطاهر الحداد ـ رائد التقدم الاجتماعى ـ يرمى بالزندقة والمروق عن الدين ويعذب ويطارد ...

هذه المحاضرة الخطيرة نتيجة اختمار آراء جديدة واحتكاك بأدب جديد , وليست قيمتها ـ على اغلب الظن ـ فى مضمونها الادبى لان الشابى لم يكتمل نضجه الثقافى آنئذ ـ فهو لم يتجاوز العشرين ـ فجاءت استنتاجاته مغلوطة فى غالب الاحيان واحكامه سريعة لا تقنع فتدل على انه لم يثبت قدمه فى النقد ولم يصهر بعد عناصر ثقافته ولا صفاها . وهى على كل وثيقة تعرفنا مدى ثقافة ابى القاسم واتجاهاته الادبية .

ولكن الامر الابلغ قيمة هو ان هذه المحاضرة وثيقة اجتماعية تبلور موقفا اجتماعيا خطيرا فى فترة حالكة من تاريخ تونس يقول فيما يقول :

«يجب علينا ان لا ننظر الى الادب العربى الا تلك النظرة المعجبة لا غير حتى يمكننا ان نتخذ لنا أدبا قويما

فيه ما فى الحياة الحاضرة من عمق فى الفكر وسعة فى الخيال ودقة فى الشعور . اما ان نتخذ الادب العربى الذى عرفنا

خلوه من هذه الامور مثلنا الاعلى الذى ننسج على منواله فذلك هو الخمول وذلك هو الموت الزؤام . لقد اصبحنا نتطلب حياة قوية ملؤها العزم والشباب ومن يتطلب الحياة فليعبد غده الذى فى قلب الحياة اما من يعبد امسه ... فهو من ابناء الموت وانضاء القبور الساخرة ... فلا خير فى امة عاريـــة تكتم فقرها ولا خير فى شعب جائع يظهر الشبع ... ذلك رايى اقوله لانه الحق وان كنت اعلم انه سيغضب طائفة

كبيرة ممن يؤثرون الحياة فى اكناف الدهور الغابرة ...»

* * *

ـ وانك لواجد فى هذه المحاضرة ما يعينك على تحديد مفهوم الادب الذى ينشده الشابى بل على ضبط مفهوم الادب عند الشابى . فالادب عنده «حياة ودقة شعور وقوة تصور وادية الفكر وشعاب الخيال والعواطف العنيفة والحب العميق العريق والامل والانسانية ورشفات المسرة وسلسبيل الوجود »...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انك واجد هذه المعانى وهذه المبادىء عند الرومنطقيين فى المشرق العربى وبلاد الغرب ولكنك تجدها مزورة بينهم لا يجمع ـ او يكاد لا يجمع ـ واحد منهم بينها .

الشابى رومنطيقى انشئت ولكنه ليس رومنطيقيا منكرا لوطنه كبايرون الانكليزى وليس رومنطقيا ضعيف الايمان بالمستقبل ، مقلعا عن الكفاح ككيتس (Keats) ولا مائعا بكاء كلامرتين ولا قال ، عند ما اهانته بلاده ما قاله ابن زيدون قديما : «وان بلادا هنت فيها لأهون ! » وانما دعا الشابى الى الكفاح والى الثورة والى التجديد والى ان يغير القوم ما بانفسهم...

ان رومنطيقية الشابى لا تفهم حق فهمها الا بالرجـــوع الى الظروف التاريخية التى نشأت فيها والى الظروف المعلومة التى عاشتها تونس فيما

بين الحربين العالميتين الاولى والثانية ... وخصوصا فيما بين سنة 1920 وسنة 1934 . انها رومنطيقية ناشئة عن نفس واعية متفائلة رغما عن تشاؤمها البادى وقلب مفتوح للخير والجمال والحياة ... انها رومنطيقية المتألم من حاضر مؤلم مظلم خيم على الفكر والشعور والشعب فأمات الفكر وامات الشعور وأمات الشعب او كاد لانه أمات الارادة ! انها رومنطيقية الحساس الرقيق النفس الشاعر بالغربة فى لوعة وتحرق غير مرتاح اليها ولا مشمول بها فيقول :

ياصميم الحياة انى وحيـــد مدلج تائه فأين شروقـــك
ياصميم الحياة انى فـــؤاد ضائع ضامىء فأين رحيقـــك

انها الرومنطيقية الهدامة للهياكل الهرمة الداعية الى بناء صروح يدخلها نقى الهواء وساطع النور ، انها رومنطيقية لهيب الشباب المتقد لا الشباب الشاحب الذليل !

ليس الشابى ـ فى راينا ـ رومنطيقيا بالمعنى الجبرانى تماما ولا بالمعنى الاوربى تماما . انما ترى فيه رومنطيقيا تونسيا قوام رومنطيقيته وطنية الذى يابى الضيم ، وكفاح الذى يؤمن بكرامة الانسان وحب الذى شرح قلبه للحياة بما فيها من جمال وخير ، وأمل الذى لا يفقد الامل وان غضب وضجر ... عسير علينا ان نرى فى الشابى شاعر التشاؤم وان كره الدكتور عمر فروخ ومن كانوا على شاكلته ... انما هو شاعر الثورة والامل وكفاك دليلا قوله :

ضيع الدهـــر شعبى ولكـــن سترد الحياة يوما وشاحـــه
ان ذا عصر ظلمـــة غيـــر انى من وراء الظلام شمت صباحـــه

انها الرؤيا الصادقة !

فلئن غذى الشابى نسغ الادب المشرقى ورواه رحيق الادب الغربى فقد كان ذلك سلاما على شخصيته التونسية وسلامة لفكره اليقظ بما له من مواهب حظ العبقرية فيها غير قليل .

وبعد فكن تونسيا فانك الى شعر الشابى مستانس وكن من شئت وانتسب الى ما شئت من الجنسيات فانت واجد فى الشابى قصتك ظافر فى الشابى بذاتك فهو كيفما قلبته صورة منك وحيثما نظرت اليه انت ! أليس هذا من اصيل الادب ؟...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قادة الفكر الاسلامي ابن حزم

عبد اللطيف الخطيب

حلت في هذه السنة الذكرى المائوية التاسعة لمولد ابن حزم وقد جرى الاحتفال بها في مدينة قرطبة مسقط راسه ، باقامة اسبوع للشعر العربي في فصل الربيع المنصرم بمشاركة وفود رسمية من كثير من الاقطار العربية وغيرها .

وهو ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف الذي كان اول من نزح من اهله الى الاندلس حيث كان لهم شغوف في العلم والجاه جميعا . وقد مضى على استقرار هذه الاسرة بالاندلس قرابة قرن ونصف قبل ان يولد ابن حزم عام اربعة وثمانين وثلاثمائة ورغب في طلب العلم بجد منذ حداثة سنه ، ثم اعرض عن جاه الوزارة استزادة منه . وحتى يفرغ فيما بعد التامل فيه والتاليف عنه . وقد كانت بسطته في العلم الى جانب تبريزه في جاه الدولة قبل ان ينصرف عنه مما اثار عليه خصومة المنافسين وحسد الحاسدين في معظم الحالات بالاضافة الى ان الرجل لم يكن على رأي غيره من العلماء المعاصرين له . وقد عاش ابن حزم في الفترة الاولى من قيام ملوك الطوائف بعد سقوط الخلافة في السنة الحادية والثلاثين من القرن الميلادي الحادي عشر ، ومن المعلوم ان عهد هؤلاء الملوك قد اقترن خلافا لما كان ينتظر بازدهار الآداب والفنون والعلوم جميعا .

وكان ابو محمد عالما مشاركا بكل ما في اللفظ من مدلول ، فقد قال فيه ابن بشكوال «انه كان اجمع اهل الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام واوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ، ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والاخبار» . كما قال فيه ابو مروان بن حيان «انه كان حامل فنون من حديث وفقه وجدل ونسب وما يتعلق باذيال الادب مع المشاركة في كثير من انواع التعليم من المنطق والفلسفة» . اما الشيخ الذهبي فقد قال : «وكان اليه المنتهى في الذكاء وحدة الذهن وسعة العلم بالكتاب والسنة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والمذاهب والملل والنحل العربية والآداب والمنطق والشعر» . واما الامام الغزالى فقد قال انه وجد فى اسماء الله الحسنى كتابا لابن حزم يدل على عظم حظه وسلامة ذهنه» . وقد كثرت مؤلفاته حتى ذكر ابنه الفضل انه اجتمع عنده منها بخط ابيه نحو اربعمائة مجلد تقع فيما يقارب ثمانين الف ورقة. وعلينا ان نذكر ان قسما غير قليل من تآليف ابن حزم قد تعرض للتمزيق والاحراق على يد بعض الفقهاء المتعصبين الدين لم يكونوا على رايه فى علوم الدين وغيرها . وقد تميز ابن حزم باسرافه فى الصراحة ومغالاته فى الجدال وشدته فى المحاججة حتى ضاق باقواله بعض الامراء والحكام فأمروا باحراق بعض كتبه كما فعل ابن عباد امير اشبيلية .

ورغم ذلك فقد كان لمؤلفاته الفقهية والادبية على السواء تأثير كبير فى الاجيال التالية وان كانت العامة قد اعجبت بالطابع الادبى والشعرى لبعض مؤلفاته اكثر مما تأثرت بآرائه فى الفقه والفلسفة ضمن كتب اخرى. واشهر مؤلفاته كتاب «الملل والنحل» وكتاب «المحلى» وكتاب «مصادر الفقه» وكتاب «الفصل» وكتاب «طوق الحمامة» الذى ترجم الى معظم اللغات الاوربية. وقد انهى تاليف كتابه هذا سنة 418 لما كان عمره لا يتجاوز الرابعة والثلاثين. ومن المعلوم أن ابن حزم قد عمر اثنتين وسبعين سنة ، اذ توفى فى السنة السادسة والخمسين من القرن الهجرى الخامس .

لقد كان ابو محمد عالما مجتهدا . فقد كان فى كتابه «الفصل» اول مؤرخ للافكار الدينية سلك منهج البحث العلمى واخذ بطريقة الاستقصاء العقلى البحت . وقد كان لمذهبه هذا نفوذ بعيد فى كثير من اعلام المفكرين الغربيين الذين اثبت له بعضهم هذه الميزة الحميدة الكبرى . لقد درس ابن حزم التوراة والانجيل دراسة تمحيص تاريخى وعقلى مزدوج ، وكان لنقده هذا ابعد الصدى واقواه عند كثير من كبار الكتاب الفرنسيين فى القرن الثامن عشر وفى القرن الذى يليه ايضا . ولقد خرج ابن حزم من دراسته العميقة للاديان ومقارنته بينها برأى صريح يقوم على فكرة العودة الى النصوص والغاء كل تفسير وتاويل وعلى اللجوء الى الاجتهاد الشخصى وتحكيم العقل فى تفهم تلك النصوص . وهكذا نجد ان ابن حزم قد سبق بعدة قرون حركة اصلاح الكنيسة التى دعا اليها «لوثر» فكانت اساسا لقيام الديانة البروتيستانتينية .

ومما لا جدال فيه ان آراء ابن حزم قد اصبحت فيما بعد من اهم اسس الحركة السلفية التى اخذت نفسها بتطهير الاسلام مما علق به فى بعض الاذهان من الاسرائيليات والاساطير على اساس العودة الى معينه الصافى المتدفق من الكتاب والسنة والاجتهاد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فـاس

أأنت الخلود ؟ ام انت عبقر ؟

هذه نفحة من نفحات الشعر المغربى جادت بها قريحة شاعر مغربى صرهته المنون فى ميعة الصبا وطوت صفحته الايام كما تطوى العاصفة صفحات الازهار والرياحين .
ذلكم هو الشاب المرحوم عمر البارودى، الذى عاش بيننا بلبلا غريدا يتعشق جمال بلاده، ويهتف بمحاسنها ثم عاجله القدر المحتوم ، ولم يترك لنا الا ذكريات وقصائد وقطعات منثورة هنا وهناك .
وقد رأينا من الوفاء للصداقة اولا ، وللادب ثانيا ، ان نذيع بعضها مما يمكننا العثور عليه .

(ع. ز.)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تيهى فاس فأنت بالتيـــه اجدر أى حسن حيال حسنك يظهـر ؟
تيهى فاس فالتيه من شيم الحسنـــــاء تسبى به العقـول وتسحر !
سال فى ربعك الجمال وذاب الحســـن فى سهلـك النقى المطهـــر
واتاك الربيع ينفخ روح الكـــــون فى قلبـك الشذى المعطـر
فانتشى السهل راقصا والروابـــــى الشم غنت والروض فاح وازهر
والشجيرات اورقت بعد ان عـــــراها عن لبسها الشتاء المعكـر
والمروج الخضر الحبيبة بالـــز هو وبالسحر والحيـــاة تبشر
قد جرت بينها الينابيع سكـرى ثمـلات تصيح للطير يهـــدر
بأغانى الحياة بالهـزج العـــــذب على مسمع الفراشة والزهـر
والصفصاف القويم كالملك الجبـــار محفوف بين جند وعسكـــر
حوله السرو والصنوبر والزيتـــــون والخيزران تجثـو وتحطـر

يالهـذا المطل من شرفـة الغيـم «زلاغ» يرنو اليك فيبهـر !
واقفـا وقفة المهابة والرهبـة يحمى حماك من سطـوة الشر
يتلقـى بصدره الرحب اهـوا ل الاعاصير لما تغدو وتزمجـر
راضيا بالجوار يحملـه الحب وما شع فى ربوعك من سحـر
صـور للحيـاة تطفح بالحسـن وبالسحر والجمـال المنضر

* * *

تلك «فاس» نبتت فوق ثراهـا وترعرعت كالبهار المعطـر
وشممت الحيـاة منها صبيـا وعرفت النعيـم فيها موفـر
كيف انساها مـا حييت وكيف القلب عن جهل يميل ويهجر ؟؟
ان علقت الهـوى بغيرها او رمـت سواهـا فحبها لى اجـدر
قد عشقت الجمال فى فجرها السـاحر والحسن فى ضحاها المنضر
وهويت «المساء» دنيا من الـر وعة قلبى يغيب فيها ويسكـر

* * *

ايه فاس ! مدينـة الحب والحسـن ، أأنت الخلود أم انت عبقر ؟؟
ام معين من الجمال السمانطو ى على مسرح الوجـود تفجر ؟
ان تغنوا بـ «النيل» او «بردى» الرقراق او فتنة «الفرات» المطهر
فكفـى بالغناء «كوثرك» العـذب جمالا وفتنة منك يسحـر
او تغنوا بالقطـن او شجر الا رز فزيتونك الجميـل المنضر
هو رمز النعيم بل مفخرة الاجيـال بل صورة الحياة واكثـر

* * *

انت لحن مخلـد عبقـرى وانا للغناء والشدو ومزهـر
كلمـا رن فى قرار فـؤادى صحت بالشدو والاناشيد افخـر

* * *

ايها القلب احذر الاسر احـذر ان حسن الطبيعـة يسحـر
ودع الحـزن والكآبـة والآلا م والاسى والتحسـر
ما الربيـع الجميل فى فاس الا جنـة الخلد بالمفاتن تزخـر

الماء والاحلام عند باشلار

محمد عباس نور الدين

لا أقصد من هذه الصفحات نقدا لفلسفة (باشلار) وانما هى محاولة للتعريف بتلك الفلسفة، حيث ان نظريات (باشلار) فى النقد الادبى، وفى الشعر وفى العلوم وفى الفلسفة مجهولة تقريبا فى العالم العربى.

ان الصور التى يعتبر الماء مادة لها لا تتميز بما للصور التى تقدمها لنا الارض من ثبات وصلابة ، بل ان تخيلات الماء مهددة دائما بالزوال اذا ما تدخلت صور الارض . ومشهد الماء الذى تنيره شمس ربيعية ، هذا المشهد يثير صورا عادية وسهلة . ان صورا كهذه لا تثير فينا انفعالا كما تفعله بعض الصور الاخرى . وسنرى فيما بعد ان بعض الاشكال التى تخلقها المياه تجذبنا اليها وتلح فى ذلك ، لاننا هنا بصدد احلام اكثر مادية وعمقا. وهكذا فالقوة الشاعرية التى لم تكن متأثرة بشعر الانعكاسات تظهر فجأة، حيث يثقل الماء وينغمس فى الظلام ، ويصبح اكثر عمقا ومادية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مركب نرسيس

ان عمق الماء وثقله هما اللذان يميزان الشاعرية السطحية عن الشاعرية العميقة، ويمكن لنا تبين ذلك اذا فرقنا بين القيم المحسوسة Valeurs sensibles والقيم الحسية Valeurs sensuelles . فالقيم الحسية هى القيم التى تعطينا نوعا من المراسلة المتبادلة ، اما القيم المحسوسة فلا تعطى الا ترجمة .

وسيتبين لنا من دراستنا للماء فى مظهره العادى ان لهذا الماء «ارادة للظهور» او انه يرمز الى «ارادة الظهور» التى للشخص الذى يتأمل الماء . ويخيل لنا ان التحليل النفسانى لم يلح فى معالجته للنرجسية على ثنائية ديالكتيلية وهى : رأى واظهر نفسه

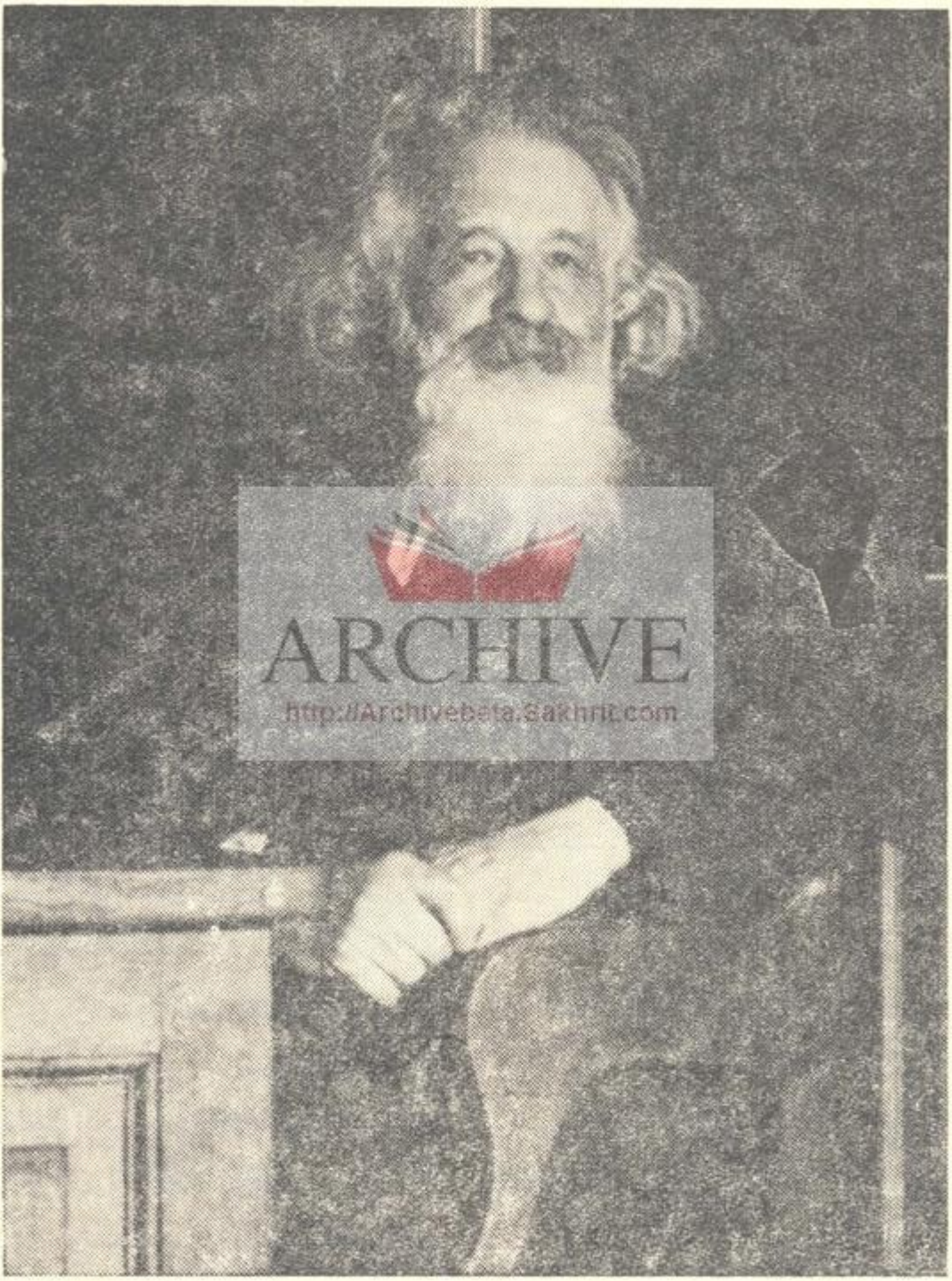
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

کاستون باشلار

اننا عند ما نقف أمام المرآة يجوز لنا ان نطرح هذا السؤال عـــلى أنفسنا : لمن نتمارى ؟ وضد اى شيء ؟ وهل نعى بذلك جمالنا وقوتنا ؟ هذه الاسئلة تكفى لان تظهر ما فى النرجسية من مركب. قبل كل شيء يجب أن ندرك جيدا هذه الوحدة السيكولوجية بين المرآة من جهة والماء من جهة أخرى. المرآة هنا تستعمل لجعل صورتنا طبيعية اكثر، فالمرآة شيء متحضر، وهى اداة حلم تنطبق من ذاتها على حياة الاحلام . يقول (لويس لافيل) (1): «اذا تصورنا ان (نرسيس) وقف امام المرآة ، فان مقاومة الزجاج والمعدن ستقف حائلا دون محاولاته . ان جبهته واصابعه ستصطدم بالمرآة ولن يجد شيئا خلفها . ففى المرآة عالم متخف يغيب عنه ، حيث يجد نفسه لا يملك القدرة على ادراكه ، وينفصل عنه ببعد وهمى يستطيع ان يقرب منه ، ولكنه لن يستطيع تجاوزه . وعلى العكس من ذلك ، فان منبع الماء بالنسبة اليه هو عبارة عن طريق منفتح» اذن المرآة التى يمثلها الينبوع هى وحدها مدعاة لتخيلات مفتوحة . فالانعكاس الذى يتميز بالغموض والشحوب يثير فينا صورا لا تثيرها المرآة . و(نرسيس) عند ما وقف أمام الماء الذى يعكس صورته ، شعر بأن جماله يمتد ويستمر . اما المرآة الزجاجية فلا تعطينا الا صورة جامدة . المرآة تعكس (نرسيس) وتعاكسه ، لانه لا يمكن ان يتعدى ما اعتطه، فى حين ان الماء يعطيه ما يريد واكثر . فسيلان الماء رمز للزمان والحياة فى عمقهما، وفيضانها غضب ، وركودها نوم واستراحة . فالماء أقرب الى مخيلتنا وعالمنا الداخلى من المرآة . ونحن امام المرآة نثبت حالة من حالاتنا اما ونحن امام الماء فاننا امام انبات لوجود . ومن هنا يمكننا ادراك احدى عناصر الحلم الطبيعى ، وهو الاندماج العميق فى الطبيعة . فالشاعر الذى يبدأ بالمرآة يجب ان ينتهى الى ماء النبع اذا أراد ان يعطى كل ما فى تجربته الشاعرية من عمق . و(نرسيس) عندما ذهب الى النبع الخفى وسط الغابة، هناك فقط شعر وكأنه يوجد حقيقة فى الماء الذى يعكس صورته : انه يمد ذراعيه ، ويغمس يديه فى الماء محاولا ان يقبض على صورته التى تتراءى له. فعلى ضفة النبع تولد نرجسية مبدعة تلعب دورا هاما فى عملية التخيل .

1) Louis Lavelle: « L'erreur de Narcisse »

ان النرجسية ليست دائما ظاهرة مرضية ، بل قد تلعب دورا ايجابيا فى العمل الفنى . والاعلاء ليس دائما ظاهرة حرمان من رغبة او مظهرا آخر للغريزة ؛ ولكنه يمكن ان يكون اعلاء نحو مثال . ولهذا لن يقول (نرسيس): «أحب نفسى كما انا» ولكنه سيقول : «اننى الآن كما احب» . وكأنه بذلك يريد ان يقول . أريد ان اظهر وازيد فى مظهرى . وبهذا تنفتح امام تخيلاته آفاق جديدة . وتأمل (نرسيس) فى مياه النهر يرتبط حتما بنوع من الامل. فيتأمله يحاول ان يستشف مستقبله . الا ان (نرسيس) وهو يتأمل فى مياه النبع يتراءى له ان هذه الصورة هى فى نفس الوقت مركز العالم . ذلك أن الغابة تتمارى مع (نرسيس) ؛والسماء ايضا تدرك بدورها عظمة صورته، يقول (ج. كاسكى J. Gasquet) : «ان عالمنا عبارة عن (نرسيس) يفكر فى ذاته» .

ان تعميم (باشلار) لمركب النرجسية على الكون باسره يطرح بطريقة غير مباشرة ، علاقة الذات بالموضوع ، علاقة (نرسيس) بالنهر والكون ، «فالموضوع لا يخلق الذات ، ولكن الذات ، من جهتها، لا تخلق الموضوع : انهما يتعاونان بالتساوى ، كلاهما يفرض ضمنيا وجود الآخر ، بل ان وجود احدهما شرط حتمى لوجود الآخر . فبطواعية الموضوع للذات ، يثبت الموضوع الذات ـ لذاتها بصيرة ، بل يجعلها واعية ، كذلك ، لعالمها الذاتى». (I) كما ان مركب (نرسيس) يطرح ايضا مشكلة العلاقة بين الذات والذوات الاخرى ، بين الـ (أنا) والـ (نحن) . «النرجسية مركب يجعل المصاب به شخصا يتفانى فى عشق ذاته . ولكن مركب نرسيس ، ليس فى الحقيقة الا نزوعا الى الكمال ؛ انه مأساة الصراع بين الذات وقيم البيئة التى نعيش فيها . فالنرجسيون يتألمون لما يعترى تشخصهم من حواجز تعوقه عن حرية النشاط والنمو ، تحت وطأة انانية تغذيها قلة التواصل مع الآخرين . فالنرجسية ، على هذا ، حاجة ملحة الى عطف ينعكس على الأنا ذاته ، حسب طريقة تصوره للآخرين» (2) .

(I) محمد عزيز الحبابى : «من الكائن الى الشخص» صفحة 56
2) المصدر السابق ، صفحة 75

وبهذا تتعدى النرجسية (نرسيس) نفسه لتنطبق على العالم بأجمعه . فنحن هنا ازاء نرجسية كونية Narcisme cosmique وعند ذلك سيقول (نرسيس) : «اننى جميل لان الطبيعة جميلة ، والطبيعة جميلة لاننى جميل». فالنرجسية بانطباقها على الكون تحول الكائنات جميعا الى ازهار ، وتعطى لهذه الازهار وعيا بجمالها . وعند ذلك ايضا تتنرجس جميع الازهار، حيث يكون الماء بالنسبة لها الاداة الرائعة لهذه النرجسية .

لقد بين شوبنهار فى فلسفته ان التأمل الفنى يخفف ، فى لحظة ما ، بؤس البشر بفصلهم عن مأساة الارادة . لاننا عند ما نستغرق فى التأمل الفنى يزول الشعور بالفردية والالم . فالتأمل الفنى يحرر المرء من عبودية الارادة ويجعله يتجاهل لذاته الفردية ومصالحه المادية . وهذا التسامى الى التأملات اللاارادية انما هو فى الحقيقة وظيفة الفن . ان هذا الانفصال بين التأمل والارادة يخفى حقيقة يجب الاشارة اليها وهى ارادة التأمل : فالانسان **يريد** ان يرى لان ذلك يعتبر حاجة ملحة بالنسبة اليه . وبين الطبيعة المتأملة والطبيعة المتأملة علاقات وثيقة ومتبادلة ، بل اكثر من هذا ، ان الطبيعة المتأملة تساعد على التأمل ، وتحتوى على وسائل هذا التأمل . وهذا يذكرنا بالنظرية الفسيولوجية القديمة للرؤيا الفعالة Vision active التى تقول بأن العين تبعث النور وتضىء بنفسها الاشياء التى تراها . والعالم متأثر الى حد بعيد بالنرجسية ، فهو يريد ان يرى ، وهذه الارادة تخلق عيونا لكى تتأمل جمال هذا العالم. ان هذه الوحدة بين الرائى والشىءالمرئى عاشها عدد كبير من الشعراء دون ان يعرفوها ، وهى شرط اولى فى التخيل . وهكذا يقول (لامارتين) (1) : «البرق ينبعث بدون انقطاع من خلال شق نافذتى ، وكأنه غمزة عين نارية على جدران غرفتى» . اننا هنا ازاء برق ينير ويرى .

ودراستنا للتخيل ستقودنا ، و لاشك ، الى اكتشاف حقيقة هامة ، وهى ان العين الحقيقية للارض هى الماء ، ففى اعيننا الماء هو الذى يحلم ، «أليست عيوننا ـ كما يقول (كلوديل P. Claudel) ـ عبارة عن بركة ماء لا تنضب من النور السائل الذى وضعه الله فى اعماق أنفسنا؟». اما فى

1- Lamartine : **Graziella**

الطبيعة فالماء هو الذى يحلم. ويضيف (كلوديل) فيقول بأن البحيرة هى التى جاءت بالحديقة ، وان كل شىء ينبعث من حول تلك المياه التى تفكر .

الماء والجنس :

* * *

وينتقل باشلار بعد ذلك لابراز علاقة الماء بالجنس وبشعر الانعاكسات فيقول : ان الوظيفة الجنسية التى يقوم بها النهر هى ان يستدعى العرى الانثوى . فمن يقوم بنزهة قرب النهر سيقول : ان هذه مياه صافية الاديم، ويمكن لها ان تعكس اجمل الصور واحلاهـا ، وبالتالى فان المـرأة التى قد تستدعيها هذه المياة ستكون امراة بيضاء صبية ، وبالنتيجة ستكـــون عارية . فالماء يستدعى العرى الطبيعى ، هذا العرى الذى يحتفظ بنوع من البراءة والطهر . وفى عالم التخيل ان الكائنات العارية حقا تخرج دائما من المحيط . فالكائن الذى يخرج من الماء هو نور ينعكس ويتحول شيئا فشيئا الى مادة ، وهو صورة قبل ان يكون كائنا ، وهو رغبة قبل أن يكون صورة . والاوزه فى الادب ، هى بديل المراة العارية ، انها العرى المباح ، والبياض الطاهر ، عرى يظهر علانية ، وعلى الاقل فالاوزة لا تمانع فى اظهار عريها . ومن يمجد الاوزرة يرغب ولا شك ، فى المراة المستحمة.

والقصص الشعبى متأثر الى حد بعيد بعرى الاوزة . ولنأخذ مثلا على ذلك تلك الخرافة التى يتجلى فيها هذا العرى بوضوح . تقول الخرافة:

ان راعيا شابا من رعاة جزيرة (أويصان Ouessant) ، وبينما كان يرعى غنمه على حافة مستنقع فوجىء بقطيع ابيض من الاوز يحط فوق سطح الماء حيث تخرج فتيات شابات عارية ذات لون ابيض ناصع . وبعد ان تستحم تتخذ من جديد جلد الاوزة وتطير . وتضيف الخرافة أن الذى استولى على ثيابها اجبرها ان تحمل تلك الثياب الى قصرها الجميل المثبت وسط الغيوم بسلاسل اربعة من الذهب .

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المياه الثقيلة :

وينتقل (باشلار) للتحدث عما سماه بـ «المياه العميقة» او «النائمة» او «الميتة» فى خيالات (ادغاربو Edgar Poe) ، او بالاحرى المياه الثقيلة، يقول : ان (ادغاربو) يتوفر على عبقرية تتميز بوحدة التخيل . ويظهر لنا من دراستنا لانتاج (ادغاربو) ان التخيل يخفى مادةمفضلة لديه الا وهى الماء : مياه خاصة ، مياه ثقيلة ، اكثر عمقا من كل المياه التى نشاهدها فىالطبيعة. فالمياه لدى (ادغاربو) تمثل المادة الام. وقد بينت السيدة (مارى بونابارت M. Ponaparte) فى دراستها لـ (ادغاربو) ان السبب السيكولوجى المسيطر على تلك الوحدة ، اى وحدة التخيل ، هو الوفاء لذكرى لا يمكن نسيانها ألا وهى صورة الام الميتة .

فالانسانى لدى (ادغاربو) هو الموت . فهو يصف الحياة عن طريق الموت . وحول القبر الذى دفنت فيه ام (ادغاربو) تحيا بلدة باسرها ، تحيا وهى نائمة نوما ابديا ، كما ان الماء يجب ان يكتسى حلة من الظلال ليمتص بذلك الالم الشاحب ، وكل مياه حية مصيرها ان تتباطأ وتثقل بحيث تقترب من الموت . وفى الشعر الحى تكتسب الاشياء قيمتها من الصورة التى تتحول اليها ، وليس مما هى عليه فى الواقع . وعند (ادغاربو) المياه تكتسى دائما ثوبا شاحبا ، انها قصة بشرية لمياه تموت. والخيال اذا انطلق من مياه راكدة مشعة فلا بد ان ينتهى الى مياه حزينة، كئيبة ، تنقل نوعا من الوشوشة الجنائزية الغريبة . وبذلك تتحول المياه من مادة تشرب الى مادة تشرب . انها تبتلع الظلال كشراب اسود ، ان لها مهمة رئيسية وهى ان تقدم لحدا لكل ما يموت فينا يوميا . فالماء هو ايضا دعوة للموت ، دعوة من نوع خاص . وكل ساعة تمضى من حياة (ادغاربو) ما هى الا دمعة حية تسقط لتلتحق بمياه الحسرات ، اما الحزن الذى ينهكنا يوميا ما هو الا ظل يتسرب عبر الماء . وهذه المياه الغنية بالصور والانعكاسات والظلال ما هى الا مياه ثقيلة .

عند ما نقرأ بعض حكايات (ادغاربو) نرى ان البحيرة ، وهى تعكس صورة السماء ، تخلق سماء جديدة فى وسطها ، وتصبح المياه الفتية فى صفائها سماء مقلوبة حيث تعيش النجوم حياة جديدة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

و(ادغاربو) بتخيله امام المياه اعطانا صورة مزدوجة لـ «نجمة جزرة» عن نجمة مائية ، نجمة هى سجينة البحيرة . وهذا يظهر لنا ان الاحلام تتولد من الطبيعة ، وان المادة تولد الاحلام عند ما نتأملها جيدا . يقول (وردسورت Wordsworth) : «من يتأمل مياها هادئة من على ظهر مركب يسير الهوينا ، سيعجب كيف ان عينيه تكتشف فى اعماق المياه الف شىء جميل : عشب ، اسماك ، ازهار ... ويتخيل فى الماء اشياء اخرى» . نعم ، ان هذه الانعكاسات ، وهذا العمق بما يحتويه ، كل ذلك سيقود نحو الطريق المؤدى للصور . وفى تأملنا لماضينا الا نلجأ الى مثل تلك الصور العميقة ؟

واذا كانت المياة هى المادة الاساسية للاشعور (ادغاربو) فان تلك المياه يجب ان تستدعى الارض ، لانها دم الارض وحياتها ، وهى التى ستقود المشهد نحو مصيره نحو الموت . وفى العالم سيكون هناك حوار كحوار العشاق ، حوار بين عناصر كثيرة ، كل منها يتعشق الآخر : فالماء يرجو الاثير الا يهجره ، والتراب يريد من الماء الا يهجره ، فالتراب والماء والاثير والنار عناصر فى حوار عشاق .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الماء والموت :

اما المياه الساكنة فتستدعى الاموات ، لان المياه الميتة هى مياه نائمة. وسيكولوجيا اللاشعور تبين لنا انه ما دام الاموات بيننا ولم يدفنوا بعد فهم بالنسبة للاشعورنا مجرد اشخاص نائمين يستريحون . وفكرة الموت لدى (ادغاربو) تسبغ على مياهه ميزة غريبة وهى الهدوء ، واذا ضحك فى شعره فما ذلك الا مؤقتا ، فكأن الماء الذى يخرج جذلا من النبع ما يلبث ان يخيم عليه الصمت ويتشح بالظلال والسواد .

وليوضح (باشلار) علاقة الماء بالموت يستشهد باسطورة قديمة هى اسطورة (كارون Coron) . و(كارون) هذا هو ذلك الملاح ، فى الاساطير القديمة ، الذى كان همه الوحيد ان يقطع بمركبه نهر (ستيكس Styx) فى جهنم . حاملا معه ارواح الموتى . وكان يرفض ان يصعد الى مركبه اولئك الذين حكم عليهم بأن يعيشوا تائهين لمدة مائة

عام على ضفاف نهر الـ(ستيكس) قبل ان يدخلوا جهنم . كما استشهد بما قاله (سانتين Santine) (1) مـــن ان شعوب (السلت Les celtes) كانت تدفن موتاها بطرق متعددة ، ففى بعض النواحى كانت الجثة تحرق، وفى نواحى اخرى كانت توضع داخل جذع شجرة تجوف على شكل قبر يسمونه (تودنبوم Taudenbaum) او «شجرة الموت» ، ويدفن تحت التراب ، وقد يترك لمياه النهر تسير به الى حيث شاءت . امـا فى بعض النواحى الاخرى ، فكان مصير الجثة اشد هولا حيث انها تعرض للشمس وللطيور الكاسرة ، فوق نفس الشجرة التى غرست يوم مولد صاحبها . وهذه الطرق فى دفن الموتى ما زالت تتبع حتى الآن فى الهند لدى اتباع بوذا وبراهما وزرادشت .

ولتفسير الـ (تودنبوم) او «شجرة الموت» نقول مع (يونج Jung) ان الشجرة هى قبل كل شىء رمـــز للام ، لان الماء هو ايضا رمز للام . فعند ما يوضع الميت فى جوف الشجرة ويترك للماء نعيش ، كما يقول (يونج) ، أسطورة دفن الميت التى تجعلنا نتصور ان الميت قد أعيد الى الام لتلده من جديد . والماء اذا كان عنصر حياة فهو كذلك عنصر موت . وفكرة المنفعة التى تجنى من الابحار لن تكفى وحدها فى ان توضح لنا كيف ان انسان ما قبل التاريخ كان يجازف بحياته وهو يبحر فوق الامواج . وفى الواقع ان الفوائد الحقيقية والملحة هى الفوائد الخياليـة ؛ فوائد نحلم بها ولا نحسبها بالارقام . وتبين السيدة (ديلكور Delcourt (2) بأن الاطفال المسحورين عند ما يولدون كانت تتخذ الاحتياطات كى لا يلمسوا الارض ، كى لا يدنسوا ما تتمتع به من خصب وينشروا فيها «طاعونهم». فكانوا يحملون الى البحر او الى النهر يرمى بهم الى الماء ليبتلعهم . فكان ميلاد طفل مسحور يعنى ميلاد طفل لا ينتمى الى الخصب الطبيعى للارض،

---

1) x . B Santine : La Mythologie du Rhin et les contes de la mère - grand 1863 P P. 14 - 15

2 - M. Delcourt . Stérilité mystérieuse et naissance malefiques dans l'antiquité classique .1938 . P. 65

فيجب ان يعاد حالا الى عنصره ، الى موطن الموت الكامل الذى هو البحر او النهر . فالماء وحده هو الذى يمكن له ان ينقذ الارض ، والطفل الذى تلفظه الامواج الى الشاطىء ويعود حيا يتحول الى كائن خارق لانه اجتاز الماء ، اى اجتاز الموت ، وسيكون باستطاعته انقاذ مدن وشعوب . فالموت مرحلة لا تنتهى ابدا ، والرحلة موت ، ولذا كان الوداع على شاطىء البحر اشد ما يكون ايلاما وقسوة .

اما الاموات فى المقبرة فليسوا غيابا غيابا كاملا . تقول احدى الفتيات فى قصيدة لـ (وردسورت) : اننا سبعة ، خمسة منا على قيد الحياة ، واثنتان فى المقبرة ، بالقرب منا ، ومعنا ؛ نذهب احيانا اليهما لنخيط او نغزل معهما .

قلنا ان الفوائد الخيالية هى الفوائد الملحة ، بل ويمكننا القول ان التحديد السيكولوجى هو من بعض الوجوه اقوى فى الاوهام منه فى الواقع ، ففى الاوهام الغايات والوسائل تحت تصرف القصاص ، ولذا كانت الجريمة والانتحار تتردد فى كتب القصاصين اكثر مما هى عليه فى الواقع . فالانتحار فى القصة محدد تحديدا واضحا وكأنه قدر ، بعكس الانتحار الذى نشاهده فى الحياة العادية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مركب (اوفيلى) :

والماء اذا كان مادة للموت فهو المادة الحقيقية لموت انثوى . ان (هملت) فى اول حوار له مع (اوفيلى Ophélie) (1) يقول وكأنه يستطلع الغيب : «تلك هى (أوفيلى) الجميلة ! أيتها الالهة تذكرى جميع خطاياى فى صلواتك» . ان (اوفيلى) يجب ان تموت فى سبيل خطايا الآخرين ، يجب الا ان تندب حظها وتغرق عينيها بالدموع .

---

(1) اوفيلى : احدى شخصيات مسرحية (شكسبير) . كانت تحب (هاملیت) ، الا ان هملت لم يتردد فى قتل ابيها ظنا منه بانه هو الذى قتل الملك . عند ما علمت (اوفيلى) بالنبأ اصبحت مجنونة من اليأس ... ومصير (اوفيلى) هو ان تغرق فى الجدول الذى كانت تجتمع من على حافتيه الازهار .

ان تموت فى النهر بهدوء وبدون ضجة . انها رمز الانتحار الانثوى . لقد خلقت لتموت فى الماء ، لتجد فيه ، كما يقول (شكسبير) ، عنصرها الخاص. فالماء عنصر لموت شاب وجميل ، لموت مزهر ، انه الرمز لامرأة ليس لديها ان (أوفيلى) ، كما يقول (مالارميه) لم تغرق ابدا ، انهـا عادت من جديد فى الاخيلة ، ولدى الشعراء ؛ تطفو فـــوق ماء الجدول بازاهيرها وشعرها الذى شتتته الامواج .

سنرى ان صورة الشعر المنسدل فوق الماء ، ان هذه الصورة وحدها رمز لسيكولوجيا المياه ، بل قد تفسر لنا وحدها مركب (اوفيلى) كله . يقول : (انونزيو G. d'annunzio) فى احدى رواياته : «كان شعرهـا ينساب كمياه هادئة ، ومع هذا الشعر ينساب الف شىء غامض من حياتها بين النسيان والذكرى» . أرأينا كيف ان هذا الشعـر المتـوج يستدعى الجدول ، والماضى ، واللاشعور ؟ وشكل الشعر لا يستدعى الماء ، بل ان حركته هى التى تستدعيه ، وبمجرد ما يتموج الشعر لا بد وان يستدعى صورة مائية . يقول (بلزاك) : «كانت الامواج والاضواء تنبعث من شعرها، وحركة شعرها تثير قشعريرة متموجة ، تشبه امواج بحر نورانى» . فالشعر الحى الذى يتغنى به الشاعر لا بد وان يوحى بحركة ، بموجـــة تمر ، بموجة تبعث قشعريرة . وهكذا نرى ان الماء يؤنسن الموت .

وأسطورة (اوفيلى) ترمز الى قاعدة هامة من قواعد التخيـل وهى ان تخيل الالم والموت يجد فى الماء صورة مادية وطبيعية . فالحلـم عند مـا يندمج فى المادة يحاول ان يشاطرها حياتها الداخلية ، وعند ما يجد هذا الحلم عنصره يذيب فيه جميع صوره ، وبذلك يتجسد الحلم فى عنصر ، فى مادة .

واذا كان الماء يرتبط ارتباطا وثيقا بالموت والانتحار ، فلا نعجب ان يكون عنصرا محزنا ، بل العنصر المحزن السوداوى
وعند ما يحزن القلب تتحول جميع مياه العالم الى دموع .

واخيرا ، الماء يتضمن رحلة جنائزية ، يتضمن الموت ، أليس الماء

هو الذى يذهب بنا بعيدا بعيدا ؟ الا يمضى كما تمضى الايام ؟

* * *

العناصر الاربعة :

التخيل المادى ، او تخيل العناصر الاربعة ، وان احظى احدى هذه العناصر ، فهو يرغب فى الصور الناجمة عن امتزاجها . التخيل يريد ان يتشرب عنصره المفضل كل شىء ، ان يكون هذا العنصر جوهر العالم بأسره . ولكن بالرغم من هذه الوحدة ، فان التخيل المادى يريد ان يحتفظ بتنوع الكون ، فهو بحاجة الى فكرة التركيب او الامتزاج .

والماء هو العنصر الاكثر استعدادا لاظهار فكرة الامتزاج : الا يتقبل الماء المواد المتناقضة كالسكر والملح ، بنفس السهولة ؟ ألا يتلون بجميع الالوان ، والطعوم ، والروائح ؟ نفهم من هذا لما ذا كان الماء ظاهـــرة اساسية فى تلك الكيمياء البريئة ، او كيمياء الشعراء ان صح التعبير .

ان فكرة «الوعاء ذى العناصر الاربعة» التى جاءت بها الفيزياء القديمة تمثل اصدق تمثيل ما يتميز به فكر ما قبل العلم عن الفكر الحديث . فالوعاء يحتوى على وسائل اربعة لا تختلط فيما بينها ، وتترتب فوق بعضها كل على حسب كثافته . اما الفكر الحديث فانه يدرك رأسا تلك الظاهرة، ظاهرة الوعاء بسوائله الاربعة ، ادراكا عقليا . فهو يعرف ان كل سائل يتميز بكثافة معينة ، وان اختلاف كثافة هاته السوائل ، التى لا تختلط، يكفى لان يشرح لنا ظاهرة ترتيبها فوق بعضها البعض . اما فكر ما قبل العلم فهو على العكس من ذلك ، انه يهرب من العلم الى الفلسفة . وقـد خصص (باشلار) كتابا بكامله لبيان الفارق القائم بين شروط الحلـــم وشروط التفكير (1) .يقول (Fabricus) بصدد الوعاء ذى السوائل الاربعة ، باننا عند ما نحرك الاناء ثم نتركه ، نرى ان كل سائل يأخذ مكانه الطبيعى . فالسائل الاسود ، الذى يمثل الارض ، يبقى فى اسفل

1- « La Formation de l'esprit Scientifique » Bachelard

الاناء ، والسائل الرمادى يأتى بعده مباشرة ليمثل بذلك الماء ، اما السائل الثالث فهو سائل ازرق ويمثل الهواء . واخيرا سائل احمر كالنار يرتفع فوقها جميعا .

وان ما يثير الانتباه حقا هو ان هذه الامتزاجات الخيالية لا تجمع سوى عنصرين فقط ، ولا تجمع ابدا ثلاثة . فالتخيل المادى يوجد بين الماء والارض ؛ او بين الماء ونقيضه النار ، او بين الارض والنار ، وقد ينظر احيانا الى البخار والضباب على أنهما عبارة عن اتحاد الاثير بالنار . اذن ، ان اى تخيل لا يمكن له ان يجمع بين العناصر الاربعة ؛ واذا جمع بين تلك العناصر ، فانه لن يقدم لنا سوى صور عابرة مصنوعة من الافكار . والميزة الثنائية للمزيج الذى يقدمه لنا التخيل تبرز حقيقة هامة ، وهى ان المزيج دائما عبارة عن زواج . ففى الواقع ، بمجرد ما يتحد جوهران اوليان ، ويذوب احدهما فى الآخر لا بد من ان يتحدا جنسيا . وبالنسبة للتخيل ان اختلاف مادتين يعنى اختلافهما من ناحية الجنس . واذا كان المزيج مزيجا من مادتين مؤنثتين كالماء والارض ، لا بد وان تلعب احداهما دور المذكر ليصبح المزيج اكثر قوة واستمرارا ، وبالتالى لتصبح الصور صورا واقعية . اذن كل تخيل مادى انما هو اتحاد بين عنصرين، ازدواج بينهما . وسندرس فى شىء من التفصيل اتحاد الماء والنار ، وبصفة خاصة اتحاد الماء والارض .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الماء والنار :

اتحاد الماء بالنار وعلاقة هذا الاتحاد بالتخيل . وابرز صورة لاتحاد النار بالماء هى صورة الكحول وقد غطاها اللهيب ، متقبلة بذلك ظاهرة مناقضة لطبيعتها الخاصة . ويخيل الينا ان الكحول وهى تلتهب ، فى مساء يوم من ايام الاعياد ، كأنها فى حالة جنون ، وكأن الماء الانثوى فقد كل ما يتمتع به من طهر . وفى القرن الثامن عشر كان ينظر الى المياه المعدنية الحارة على انها تركيب مباشر من الماء والنار . يقول (بلزاك) : «الماء جسم محترق» ، أما (نوفاليس Novalis) فيقول : «الماء شعلة مبللة» . فالماء فى عالم La psychanalyse du feu

التخيل ، هو زواج بين اضداد ، قد تكون هى الاضداد الوحيدة من حيث الجوهر ، فهو يطفىء النار كما تطفى المرأة الشوق . والنار والماء اذا كان احدهما ينادى الآخر ، فمن الناحيـة الجنسية ان كـــلا منهما يرغب فى الآخر . وقد اعطانا (غوتة Goethe) (1) صورة رائعة عن هذا التزاوج بين الماء والنار . فالشمس كوكب نارى يخرج من البحر ، فهى عند (غوتة) أوزة حمراء . والتخيل يذهب دائما من الكون الكبير الى كون مصغر آخر. واذا كانت الشمس ، فى صورة (غوته) هى الزوج الحقيقى للبحر ، فذلك لان الماء «تستسلم» للنار ، والنار «تأخذ» الماء . يقول (غوته) وكأنه يلقى قصيدة فى عرس : «يالها من شعلة تنير الامـــواج وهى تتكسر متلألئة الواحدة تلو الاخرى ؟.. الاجسام تتعانق .. وحـــول كل شىء تنساب النار . وبذلك يسيطر الحب الذى هو مبدأ الاشياء . المجد للبحر ! المجد لامواجه المحاطة بنار قدسية ! المجد للموجة ، للنار ، وللمغامرة الغريبة».

وقد اوضح (باخوفن Bachoffen) (2) ان عنصرى الماء والنار باتحادهما يخلقان كل شىء ، وهذا الاتحاد ليس مؤقتا او سطحيا ، بل هو الشرط الاساسى للخلق المستمر . والتخيل عند ما يحلم باتحاد دائم بين الماء والنار يشكل صوره مادية مزدوجة وفريدة . تلك هى صورة «الرطوبة الحارة» . انها بالنسبة لتخيلات عديدة المبدأ الاساسى . انها تحيى الارض الموات وتبعث فيها جميع الاشكال الحية . وهكذا يمكن القول بأن الازدواج هو الاساس الاكيد لكل تقييم غير محدود .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

الماء والليل :

والآن لنقل كلمة عابرة فى موضوع امتزاج الماء والليل ذلك الامتزاج الذى يخيل للبعض انه يخالف ما قلناه فى موضوع مادية التخيل . قد يبدو للوهلة الاولى ان الليل ظاهرة عالمية ، تفرض نفسها على الطبيعـــة

---

1 - Goethe . Second Faust . trad . Porchat.PP 374 - 375
2 - Grabersymbolik der Alten C f . par ex . P. 54

باسرِها دون ان تنفذ الى جوهر مادة هذا العالم . فاذا اردنا ان نشخص الليل شبهناه بانه لا يقف فى وجهه شىء ، ويشمل العالم اجمع . الا ان الاحلام المادية هى احلام طبيعية ، بحيث يقبل التخيل بسهولة حلم ليل فعال ، ليل ينفذ ، ليل يدخل فى مادة الاشياء . فلن يعود الليل مجرد اله يغطى الكون ، او ستار يمتد فوق الارض والبحار ؛ بل سيصبح جوهرا، او مادة ليلية . وبما ان الماء هو الجوهر الاكثر قابلية للمزيج ، فالليل سوف ينفذ الى الماء ، الى اعماق البحيرة ، وينغمس فى المستنقع .

والليل على حافة المستنقع ، يثير نوعا خاصا من الخوف ، نوعا من الخوف الرطب ، الذى ينفذ الى اعماق الحالم ويبعث فيه القشعريرة . والليل وحده يبعث خوفا اقل مادية ، كما ان الماء يثير ، اثناء الليل ، خوفا ينفذ الى الاعماق . واذا كان الخوف ينبعث ، اثناء الليل ، بالقرب من المستنقع ؛ فذلك لان لهذا الخوف أفقا يتميز به ، ويختلف عن الخوف داخل المغارة او الغابة بانه اقل كثافة وتحديدا ، وبالتالى اكثر سيلانا ، فالظلال فوق الماء هى من بعض الوجوه اكثر تحولا من الظلال فوق الارض، وتاكيد صفة الحركية هذه سيقودنا الى حالة خاصة من قانون التخيل وهى ان التخيل **صيرورة**.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

الماء والارض :

ان اتحاد الماء بالارض يعطينا العجين (Pâte)، وفى العجين يظهر جليا فعل الماء . فبواسطة فاعلية الماء يبدا العامل الذى يعجن اولى تخيلاته . وليس بالغريب ان يمثل الماء للحلم فى ثنائية فعالة ، ذلك انه ليس هناك احلام دون ثنائية ، او ثنائية دون احلام . فالعجين اتحاد بين الماء والطحين ، هو عبارة عن نفاذ الماء الذى ياكل الطحين الى تلك المادة المسحوقة نفسها . وكأن الماء مادة لزجة تمتاز بقدرة على الربط بين الاشياء . واننا لنجد فى التفكير السابق للعلم امثلة لهذا النوع من التخيلات ، فالماء الصافى عند (Fabricus) غراء يحتوى على مادة

مهيأة لتحقيق الربط فى العجين . وفى عملية العجين نحن ازاء حلم مستمر ، ازاء عمل نستطيع ان نغمض اثناءه العينين . وهو ايضا عمل موقع باستمرار ايقاعا يأخذ بمجامع الجسم كله ، وهو حيوى ويتصف بالصفة المميزة للديمومة ، ألا وهى **الايقاع** .

ويقترح (باشلار) ان تضاف فكرة الاحلام الى سيكولوجيا الانسان الصانع Homo faber ، ذلك ان لليد احلامها وفروضها ، وتساعد على معرفة المادة من الداخل ، فالعجين ينتج اليد **الديناميكية** وهى نقيض **اليد الهندسية** التى جاء بها (برجسون) فى تعريفه للانسان الصانع

بعد كل هذا لن نعجب من النشوة التى يبديها الاطفال ازاء ظاهرة «العجين» . وقد اشارت السيدة (بونابارت) الى المعنى السيكولوجى النفسانى لاهتمام الطفل بالغائط الذى يفرزه. وعلى شاطىء البحر، يخيل الينا ان الطفل وهو يعجن الرمل بالماء ، كأنه كلب بحرى ينساق بدافع غريزى شديد العمومية .

فالطين ، والرماد ، والغبار ، والدخان ، عناصر اربعة تقدم لنا صورا مختلفة تتبادلها المادة دون اى هدف . والانسان يتساءل من اى طين او صلصال صنع . فلكى تتم عملية الخلق لا بد من صلصال ، من مادة مرنة ، مادة مبهمة حيث يتحد الماء بالارض . وليس جدل علماء النحو جدلا عابثا حول ما اذا كانت كلمة (صلصال argile) مذكرة او مؤنثة . واخيرا يمكننا القول بأن المادة هى الخطاطة Sehème الحقيقية لاحلام لا نهاية لها .

للموضوع صلة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الابداع الفنى والواقع المجتمعى

محمد عزيز الحبابي

ان المبدع الحق هو الذى يسهم انتاجه فى تحريره الشخصى وتحرير الآخرين ، مما يفرض ، مسبقا ، ان شعوره ينفتح على كل الآفاق ، ومما يفرض كذلك ان قلبه يشبه : «قبة مضروبة لها ابواب تنصب اليها الاحوال من كل باب ، او مثاله ايضا مثال هدف تنصب اليه السهام من الجوانب، او هو مثال مرآة منصوبة تجتاز عليها اصناف الصور المختلفة ، فتتراءى فيها صورة بعد صورة ولا تخلو عنها ، او مثال حوض تنصب فيه ميـــاه مختلفة ، من انهار مفتوحة اليه» (I) .

هذه الانطباعات المتنوعة ، تتوارد ، كما يتبين ، دون نظام ، لتثرى مجال شعور المبدع وتجعله ينظر الى العالم نظرة اكثر لطفا ودقة . تاتى هذه الانطباعات امواجا متكاثفة او منفصلة ، بعضها يعزز الكتل الموجودة سابقا ويضخمها ، وبعضها يفتت الوحدات كيما يحتل مكانها .

فبقدر ما يكون شعور الفنان اكثر اتساعا واكثر ثراء ، تكثر قابليته للانطباعات والصراعات الوجدانية التى تغزو مجال شعوره فى كل المناسبات. ومصدر هاته الفعاليات والانفعالات الداخلية ، اما حس من الحواس واما عالم التخيل (رغبة ، غضب ، هوى ، او مثل اخلاقية) .

فمهمة المبدع العبقرى ان يجعل من هذه المجموعة من الانطباعـــات حقيقة متماسكة ذات مغزى ، وذلك بان يجد ، فى ابعد من المعطى الخام والفردى ، الصفة التى تمتاز بها حقبة ما من الزمان او بيئة بشرية ما ،

(I) أبو حامد الغزالى : احياء علوم الدين ، الجزء الثالث ، صفحة 27 مطبعة الاستقامة ، القاهرة .

وان يجد فى ابعد من ميدان الاحساس والتجربة ، الجانب الانسانى الصميم الدائم الذى يتعدى الازمنة والامكنة .

ان وجود الـ «أنت» لازم لاثبات الـ «أنا» ، فاليقين بوجود الـ «أنت» سابق لكل تجربة . فما دامت معرفة الذات ليست اولية ، فاننا لا نتمثل الآخرين ، تبعا لما نكشفه فينا عن طريق الاستبطان ، بل على العكس ؛ فالشخص يقع (بـ) و(فى) وسط بشرى .

* * *

ان الاستدلال بالمشابهة لا يقبل الا فى سيكولوجية تعتمد على الاستبطان ، وحتى فى هذه الحالة ليست هناك الا مقاييس وهمية واعتباطية. ومعرفة الذات لا تحصل قبل الآخرين : ان الطفل يكتسب أناه لان كل «أنا» «هدية من الآخرين» (I) ، فالـ «نحن» سابق للـ «أنا» وللـ «أنت» وللتمييز بينهما . ففى البداية يوجد «نحن» خاص بمعشر ، اما فى النهاية فيوجد «نحن» بلغ حد التواصل والانسجام .

فى داخل المعشر ، ينال الابداع والمبدع ، كما ينال الفن والفنان معا؛ معناهما بمجرد ما يتموضعان داخل العلاقات الجماعية والديالكتيكية .

ان الانسجام والتواصل ، يجعلان تلك العلاقات الديالكتيكية تتسع لتشمل المعشر الذى يتكون بين الارواح . فالارواح ، دائما ، منفتحة على مختلف أنواع الغنى اللامتناهى الذى تحمله هذه العلاقات كممكن ضمنى، فالحياة الانسانية ، على هذا، ليست الا التزاما داخل تأليف ديالكتيكى معشرى فى تواصل منسجم : يلزم ضروريا ، اذن ، ان يكون لكل ابداع منابع فردية واخرى مجتمعية .

يثبت اتباع (سان سيمون Saint Simon) ان العمل الفنى فعالية تبادل بين الفرد والمجتمع ، فيعرفون «الفنون الجميلة» بانها تعبير

(I) انظر كتابنا : دراسات فى الشخصانية الواقعية (ج الاول : من الكائن الى الشخص ، الفصل الاول والفصل الثانى) ـ دار المعارف ـ القاهرة

الشعور ، اى انها صورة من الصور الاساسية لكينونة الانسانية . فلولا الفنون الجميلة لكانت فجوة فى الحياة الفردية وفجوة فى الحياة المجتمعية. ان الفنون الجميلة تحتم على الانسان اعمالا مجتمعية تدفع به الى ان يرى ضمن المصلحة العامة .

فالفنون الجميلة منبع الاخلاص والتضحية وكل العواطف الحيـة الرقيقة (1) .

* * *

ان (برجسون) حينما يطرح فى كتابه «**التطور الخلاق**» ، مشكلـة الابداع ، يرتفع بنا حتى القوة التى تتجلى بانتاج الكـون المادى وبخلق الاجسام الحية ، ثم يعتمد (برجسون) على معطيات بيولوجية لعصره . فيجد فينا ، بالتأمـل والاستدلال الاستنتاجى ، الاندفـاع الـذى تنطلـق منـه كينونتنا (2). ولكن عن طريق مخرج هذه الرسالة نجد نا مندفعين ، فى جهاز مركب من البيولوجيا والميتافيزيقيا يبعدنا كثيرا عن الجمالوجيا وعن التحرر .

ان كتاب «منبعا الدين والاخلاق» يضع ، من جديد ، لغز المبدأ الذى ينشأ عنه الابداع . فثم شكل جديد للحدس يحول المتصوفة الاتصال بكائن متعالى ، يمكن اعتباره مصدر كل الاشياء ، ذلك الكائن هو الله الذى تتوحد طبيعته مع المحبة . وكيما تتكون للقارىء فكرة عن ذلك ، فان (برجسون) يمائل الحدس عند الصوفيين بتجربة الابداع الفنى أما نحن فالذى يهمنا هنا هو فعالية الخلق الفنى .

بيد ان (برجسون) ، عند ما يفصل بين الابداع وشروطه المادية ، يجرد كل اثر فنى من العلاقات والدواعى المجتمعية ، انه يضعنا ، حينئذ

---

1) Doctrine de Saint-Simon, première année 1929 Ed . publiée par Bouglé et Halévy, Paris Rivière 1924 p. 129

(2) تجدر الاشارة الى ان اكتشاف «الدافع الحيوى» يبدو انه يحدث بفضل التأمل والاستنتاج ، فى حين ان (برجسون) يؤكد بان «الدافع الحيوى» هو من مميزات الحدس .

امام حرية ما ، اى حرية اكثر ما يقال عنها انها مجموعة حركات عضوية لا اكثر ، ان جاز هذا القول .

فبوسع قرد ان ينجح فى اختبار حركى ، بمقدار نجاح طفل ، بل واحسن ولكن الطفل ، للقيام بنفس العملية ، يدخل فى التجربة عنصرا جديدا بالغ الاهمية ؛ هو ما يبذله من مجهود لتفهم الموقف . وبهذا يجعل من تغلبه على الموقف قضية شرف وحماس . فالطفل يريد ان ينتصر على العراقيل ، وان يخترع طرقا عملية حسب ما رأى الناس يقومون به ، وحسب تجاربه الشخصية السابقة ؛ وفضل ذلك يرجع للدور الهام الذى تقوم به الذاكرة فى عملية الاختراع . فحرية هذا الطفل تشرف فى اختياره المنهج الذى يجب اتباعه ، عند دراسته للمشكل قبل الشروع فى حله .

يمكن لتحسس الطفل او حدسه ان يساعده الى ان يصل الى الحل الصحيح ، دون أن يتيه فى تجربة الافتراضات ، وان يتخبط فى التلمسات، ان الادراك الحدسى المباشر للطفل ، لحل مشكل ليس بعد هو الحل ذاته، فغالبا ما تكون رؤيته الاولى غير واضحة ، فالمشكلة تتراءى للطفل غير تامة، فهو لا يتمكن من حصرها ضمن فكرة واضحة ، محددة كل التحديد . بواسطة هذه المقارنة (بين الطفل والقرد) ، تظهر لنا السيكولوجيا كيف نجد الحرية حتى فى المستويات البسيطة جدا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

اننا نلاحظ ذلك ، بسهولة اكثر ، على صعيد العمليات الفكرية . هذا ما يحصل بالذات بالنسبة لموقف المهندس ، مثلا ، امام مشكل . ألا يحق لنا ، هنا ايضا ، ان نستند الى العادة لتفسير هذا الوضع ؟ أليس «الفكر الهندسى» نوعا من الاعتياد يتعزز بالمران حتى يصبح نوعا من الاشراق ؟ فالعبقرية ، كما يقال ، مثابرة طويلة . فالمرء الذى يفكر دائما فى الجاذبية الكونية هو وحده الذى يمكنه ان يكتشفها ، وهذا ما وقع بالفعل (لنيوطن) : ان تقديرنا وفهمنا لما هو عبقرى ، ليس معناهما اننا لا نستطيع ان نقدره ونفهمه الا اذا كنا من الاختصاصيين الذين ينفردون بالقدرة على الفهم والتقدير . ان اى اثر فنى يزداد عبقرية بقدر ما يزداد

محتواه غنى وعمقا ، ويكون اكثر قابلية على تجاوز ما هو فردى خاص ، فيخلق انفعالات وايحاءات لدى اكبر عدد من الاشخاص اذا كان كل ما هو سهل المنال لا يتصف بالعبقرية، فعلى العكس من ذلك، ان كل ما هو عبقرى حقا سهل المنال ، فالسهولة تختلف ، تماما ، عن التفاهة .

يظهر انه اذا قمنا بتحليل الحدس من كل جوانبه ، اتضح لنا وضوحا كاملا بفضل الواقع المجتمعى . فاذا كان باستطاعة الحدس ان يتحقق دون اى اتصال بالمجتمع ، ولا يرتبط الا بالعفوية الشخصية لا غير ، دون انفتاح على عالم العلاقات المتبادلة بين الناس ، فان كل ابـداع (فنى ، اخلاقى او دينى) يقابل بردو د فعل من هذا القبيل : «ليس لهذا معنى !» او «ما ذا يقصد من هذا ؟» .

اننا نحكم على ابداع ما ونقيمه حسب كثافة ما له من منقصة واقعية او ممكنة (حاضرا او استقبالا ، من الناحية الفكرية او الروحية او المادية)، وحسب ابعاد الفراغ التى يملأها . ان الاثر الفنى ينتظر دائما موافقـــة الجمهور الذى من اجله أبدع . فالمجتمع ايضا ، هو الذى يغربل آثاره ليخلد من بينها اروعها . والاثر الفنى رابطة بين الاجيال وبين الشعوب، انه اللغة المشتركة بين الانسانية جمعاء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

حقا ، ان قسطا وافرا من الخلق الفنى يرجع الى الاستعدادات الشخصية والى العبقرية الخاصة بالمبدع . فالاختراع والاثر الفنى لا يخضعان الى حتمية مطلقة ، لكن اللاحتمية هنا ليست انكارا محضا لكل تقيد . اذا كانت معرفة العناصر لا تسمح بالتنبؤ عما سيكون عليه الاثر بعد ان يتم انجازه ، فاننا، مع ذلك ، لا يمكننا ان نتكلم عن اثر ، ولا عن ادراكه كفكرة معدة للتحقيق اذا لم ننطلق من معرفة هذه العناصر . ان التخيل بحاجة الى نقطة انطلاق. فالعناصر التقنية التى يضعها المجتمع تحت تصرفنا ، والطبيعة التى حولتها الكائنات البشرية ، والانماط الثقافية لحضارة ما ، كل هذه تشكل الشروط الاساسية لتفتح ونمو عبقرية المبدع الخاصة .

* * *

فالامثلة على تحليلنا المتقدم كثيرة وحاسمة . فـ (هوميروس) لم يلد العالم الخاص بملاحمه : استنادا على احداث تاريخية (حرب طروادة ، معركة من اجل السيطرة على المضائق ، المعتقدات الدينية للوسط الذى كان يعيش فيه) أطلق (هوميروس) العنان لتخيله بتضخيمه لهذه الحوادث وصبغها صبغة قصصية . ان «الالياذة» و«الاوديسة» حددت بمعطيات دقيقة وجدها (هوميروس) فى محيط عصره . واذا كانت الوجودية المعاصرة تعكس، من بعض الجوانب، أنطولوجيا الفشل ، أليس ذلك صادرا عن تأملات حول الاوضاع الخطيرة الناجمة عن الازمات المكررة وعن الخيبة التى نحياها ، على مستويات عديدة مختلفة ، سواء بالنسبة للشخصيات المنفردة او بالنسبة للامم ، بل وأكثر : بالنسبة للانسانية المعاصرة كلها ؟

ولنعط مثالا آخر ، ليس اقل دلالة مما سبق .

كان والد الكاتب الروسى (دوستويفسكى) بخيلا قاسى القلب صارم الاخلاق . فتكون عند (دوستويفسكى)، منذ صباه ، نوع من الاشمئزاز والنفور تجاه ابيه الى حد انه كان يتمنى له الموت . وهكذا انطبع كل ما تركه الكاتب من آثار فنية بشعور بالذنب وتوبيخ الضمير ، فكثيرا ما حلل مشكلة الاجرام ومشكلة الندم والتوبة ، فقصته ، «الاخوة كارامازوف» تدور حول قتل الاب مما يدل على ان انتاج المؤلف الروسى قد تأثر كثيرا بحياته فى صباه . ونجد ايضا تأثيرات اخرى كانت حاسمة فى مزاج (دوستويفسكى)، بالاضافة الى التربية التى تلقاها فى حوار ابيه ، وهى التجارب التى عاشها مدة اربع سنوات فى السجن (بسيبيريا) بين مائتين وخمسين مجرما . وتنم عن هذه التجارب القاسية كتبه المعروفة «**ذكريات من بيت الاموات**» و«**الجريمة والعقاب**»... وهكذا لو عاش (دوستويفسكى) فى بيئة غير بيئته، وفى عصر غير عصره ، وعاش تجارب غير التى عاشها فعلا ، لكان انتاجه غير هذا الذى نعرفه . ان لكل وسط ولكل عصر ذوقا ومعايير جمالية واخلاقية خاصة بهما . كما لهما طرق فى الاحساس والتفكير وانواع النشاط تميزهما عن غيرهما من البيئات والازمنة .

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نجد نفس الظاهرة فى ميدان الخلق الموسيقى ، ونصل الى نتائج تشبه النتائج التى وصلنا اليها سابقا .

فكما ان للشاعر وسائل تعبيرية خاصة ، فالموسيقار يستعمل الوحدات الصوتية للتعبير عن انطباعات ومشاعر ومفاهيم مختلفة . انه يستخلص ويبرز ما فى الحياة من ايقاع ، بيد انه لا يخلق لا الايقاع ولا الاصوات ولا الحياة ، فهو ، حينما يبدع ، انما يؤلف انتاجا موسيقيا ابتداء من عناصر الحياة ، ومن النماذج التى يجدها فى البيئة . ان الانسجام الموسيقى يستند على قوانين معروفة . لقد نشأت الموسيقى كفن فى الوقت الذى نشأت فيه الرياضات . فالفيتاغوريون قد ابرزوا بكيفية واضحة ان بين الموسيقى والرياضيات تجانسا كبيرا ، ودرسوا الايقاع والانغام والسلم والفواصل الموسيقية وغيرها من مكونات الفن الموسيقى ، طبقا لقواعد الرياضيات . وهذا ما يفسر لنا ان تدريس الموسيقى ، عند الاغريقيين القدماء ، كان مصاحبا لما يسمى اليوم بالفيزياء الرياضية ، وحتى فى عصرنا هذا ما زال كثير من علماء الرياضيات والفيزياء يهتمون بالموسيقى . طبعا ، ان المرء لا يغنى الا بعد ما يشعر بميل الى الغناء ، ويحس بحاجة الى التعبير عن مشاعره . فواضح ، اذن ، اننا داخل مجال ذاتى صرف ؛ هذا لا ينكر ؛ ولكن الذاتية لا تقتضى ابدا انعدام العناصر المجتمعية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

لقد حاولنا ، اكثر من مرة ، ان نبين ان كل عاطفة ، مهما كانت ذاتية صميمة ، فانها تحمل طابع المجتمع . فالبيئة هى التى تعطى لكل شعور مدلوله ، وتنظمه حسب معايير يفرضها المجتمع ، وهكذا تلونه من حيث محتواه ومن حيث طرق التعبير عنه . وكما قال ، عن حق ، (برجسون) : «فالفن المجرد عن كل هدف انما هو بذخ كالنظر المجرد ، لقد كنا زمنا طويلا اصحاب حرف قبل ان نصبح فنانين» (1).

---

(1) «التطور الخلاق» ص 45

نرى اليوم انصار ما يسمى بـ«الموسيقى الحسية» (1) يحاولون دراسة رنين ودوى الاشياء الجامدة ، علهم يصلوا الى وضع طريقة تقنية تمكنهم من التاليف بين مختلف انواع الدوى والاصوات (2) وهم لا يهدفون الى التعبير عن شيء لجمهور المستمعين ، بل كل ما يريدونه هو ان يثيروا انتباه الناس الى الوجود الذاتى للاشياء الجامدة . «فربما كان لدى الشيء الجامدة (لا لدينا نحن) حديث يمكن ان يبلغنا اياه» (بيير شيفر).

ان هذا النداء المنبعث من الاشياء الجامدة وهذا الانتباه الذى نضطر الى تركيزه حول اصواتها لا يفهمان الا ضمن النطاق الخاص لحضارتنا ، فى مرحلتها الحالية التى تزداد آلية ، يوما بعد يوم . فلم لا تكون الحياة الصناعية منبعا لبعض الفنون ، كما هى الحال ، مثلا مع حياة الحقول والفلاحة ؟ فالموسيقى الحسية تعتمد على مواد جد بسيطة : الرنين والدوى على فطرتهما ، اى كما تقدمهما لنا البيئة الصناعية . فالآلات تركزهما وتحولهما خلال حركاتها . اما الفضاء الذى تملاه الموسيقى الحسية ففضاء يخضع لسير الآلة ، اى عالم الالوان والاجرام ، عالم الاهتزازات والتموجات الغريبة على آذاننا التى الفت الانغام الموسيقية . آذاننا نحن الذين لا زلنا لم نتحرر من عادات عتيقة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

وهكذا فان دور المبدع ، فى الميدان الفنى ، هو ، قبل كل شيء اكتشاف الاسلوب المطابق للمفاهيم التى توجد فى بيئته وفى عصره . ان روائع الانتاج الفنى لا تلحق بستمرار فى عالم ماهيات ممكنة ليس على الفنان الا ان يقتطفها وهى محلقة ؛ بل على العكس ؛ ان لها جذورا تتعمق فى الواقع .

فقصائد المتنبى ، مثلا ، لا يمكن ان تفهم وان تفسر الا داخل نطاق

---

1) La Musique concrete

(2) بدات هذه التجربة بفرنسا سنة 1948 بالتعاون بين جماعة من الباحثين والاذاعة الفرنسية ولحد الساعة لا زالت «الموسيقى الحسية» فى طور تكوين مناهجها ووسائل التعبير الملائمة .

الجو الفكرى ، والسياسى ، فى عهد الدولة الحمدانية حيث انقسم العالم الاسلامى الى عدة دويلات ، وساد الظلم ، وطغى تعسف الحكام . فساد المجتمع الاسلامى تضجر وحيرة وقلق ، ولم يكن شعر المتنبى الا انعكاسا لطموح هذا المجتمع ومفاهيمه المتضاربة ، فالشاعر بلور كل ذلك ورفعه من الشعور الغامض الى مستوى الوعى ، فالمفاهيم كانت موجودة قبل المتنبى وفى عصره ، ولكنه هو الذى نفخ فيها الكينونة الفنية الواعية . فمشكلة الامامة ، فى المجتمع الاسلامى ، كانت هى ايضا مصدرا صميميا لابداع المتنبى . وهكذا اذا كانت كل ماهية لا تصبح واقعا الا بالوجود ، فالوجود ، هو ايضا ، لا يتحقق الا اذا مكنه الوسط من ذلك ، فيصبح مصدرا فعليا .

* * *

ان اصالة الفنان تكمن فى قوة المفاهيم التى يجدها فى بيئته ، وفى ابرازه لهذا الجانب او ذاك من الواقع ، وفى الوسائل الشخصية التى يستعملها للوصول الى ذلك . فمثلا ، ان هندسة وزخرفة بيوت العبادة تختلف حسب نظرة الشعوب للدين . فالكنيسة تتميز ببنائها المستطيل ، والظلال والصور والتماثيل ، اما المسجد ، فهو وان كان كذلك بيت عبادة وخشوع ، يمتاز ببساطة هندسته المعمارية وانعدام الصور والتماثيل . ثم ان الكنائس والمساجد يتنوع طراز بنائها مع المذاهب والبلاد والاجيال . ولنضرب مثلا آخر ، فالمشهد الواحد يمكن ان يتصوره الفنان ويعبر عنه بطرق مختلفة . ونجد الامثلة الكثيرة على هذا فى تاريخ الفن . نشاهد فى كل حالة نوعا من التنضيد الجبرى للمعطيات والنسب وموجات الأضواء، والانسجام والتوازن والزخارف فى اللوحة . ومن الواضح ان كل ذلك رهين باستعدادات وذوق الفنان . ولكن ، من الاكيد ايضا ، ان مفاهيم الفن والتقنينات التى يستلهمها المبدع من المجتمع ، والتأثيرات الفكرولوجية التى ينفعل بها ، تلعب نفس الدور بالنسبة للنتاج ان لم يكن اكثر .

* * *

اننا نقبل ، دون معارضة ، ان يعتبر الابداع اظهارا للافعال الحرة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لكن ، من الصعب جدا ان ينسب الاختراع الى حدس شخصى محض ، ويحصر مصدره فى الحياة الباطنية فحسب .

فالفن يبـــدو لنا كتعبير كيفى عن احدى فترات الحضارة بالنسبة لبيئة ما ، وهو ايضا اظهار لما يحدو تلك البيئة ولكل ما تصبو اليه . انه المكان الذى تنتصر فيه «الزمنية» (1) والغائية . لقد بالغ (برجسون) ، الى حد بعيد ، فى ابراز الجانب الذاتى والاصيل للابداع ، وحتى بعد ما وحد (برجسون) بين الحدس والارادة وابرز الجانب البناء المبدع للحلول ، خلال المداولات السابقة لاختيار وتنفيذ الفعل الارادى ، فانه يؤكد (كما لو كان يريد تهديم ما اثبته سلفا) ان الفعل الارادى (فى نظره) هو الفعل الذى نبرره بعد حصوله ، تبريرات لاحقة لا سابقة .

فاذا كانت هذه النظرية البرجسونية صحيحة وجب علينا ان نسأل :

ما هو ، اذن ، مصير حرية الاختيار ومصير العزم القاطع ، ومصير الفعل الارادى ؟

وما هى الوسائل التى تخول انوعى أن يصل الى اكتمال تفتحه ؟

هنا نلمس جوانب الخوى اللابهام الذى يهيمن على فلسفة الحرية عند (برجسون) بين الحدس والارادة وابرز الجانب البناء المبدع للحلول ، كان القصـــد مـــن دراستنا ان نبيـــن جوانب الضعف فى هـــذا الاتجاه ، فتبين ان للفنـــان رسالـــة : رسالة سلام وكرامة ، وذلـــك بالدعـــوة الى التسامى والذوق الرفيع : انها طرق معبدة توصل الى عالم التحرر .

---

(1) نطلق هذا اللفظ على المعنى الذى اعطاه (برجسون) لكلمة «زمن»، لقد اعتبر الناس دائما الزمن كانه نوع من التغير الذى يوجد فى سائر التغييرات . «التطور الخلاق» ص 50 .

أغنية الرماد

. زفزاف محمد

لانا تعبنا ...
عبرنا دروب الاماسى ، وما انتهينا
الى مرفأ من أمل
الى منبع من ضياء
يزكى دنانـــا
ويمسح عتمه
ويغسل ظلمـــه
تعشش فى روحنا ... تكمن

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لئن رفرف الصبح فوق التلال
ولف الجمال
ورودا شوارد ،
وغنت عصافير عذب النحون
بوادى الحزون
فلا زال فى الافق بقيا دجون
واطلالة من غبش

* * *

لئن أزغب الخصب فى حقلنا
وجاد الربيـــع

وذاب الصقيـــع
فلا زال فى الجو سود الغيوم
تنبىء ان الهموم
وان الشتاء هنالك ما يأتلى
يغمغم كالافعـــوان .
لانا تعبنا ...
وما قد بلغنا
نهاية ليل سنيـــه
ولا زلنا نخبط فى ظلمة نابغيه
ونصغى :
أغانى الرمـــــاد ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قبر عمر الخيام

محمد بهمنأوبت

قرأت ان الحكومة الايرانية اقدمت على نقل رفاة عمر الخيام من مقبرته الاولى الى مقبرة أقامتها له قريته ـ كما فى النبأ ـ فتذكرت بهذه المناسبة ما كنت قراته فى كتاب «جهار مقالة» لمؤلفه نظامى عروضى سمرقندى .

وذلك انه ذكر فى المقالة الثالثة ، التى خصصها لعلم النجوم ؛ هذه الحكاية التى نترجمها فيما يلى :

حدث فى سنة ست وخمسمائة ، ان نزل فى قصر الامير ابى سعد جرة (1) ، وكان هذا القصر فى حى النخاسين من مدينة بلخ ، السيد الامام عمر الخيام والسيد الامام المظفر الاسفزارى (2) ، وكنت اذ ذاك ملتحقا بخدمة هذا الامير (3) فسمعت فى مجلس المنادمة ، من حجة الحق عمر الخيام ، انه قال :

«ان قبرى يكون فى موضع ، بحيث ان ريح الشمال تنثر على كل

---

(1) من اواخر الامراء السلاجقة

(2) هو الفيلسوف ابو حاتم المظفر الاسفزازى ، اشتهر بعلم الهيئة والاثقال والحمل ، وله مؤلفات فى الرياضيات والآثار العلوية وغيرها

(3) النص الفارسى هكذا : درسنة ست وخمسمائة بشهر بلخ دركوى برده فروشان ، در سراء امير ابو سعيد جره ، خواجه امام عمر خيامى وخواجه امام مظفر أسفزارى نزول كرده بودند ، ومن بدان خدمت بيوسته بودم

فواضح من قوله : وكنت قد التحقت بتلك الخدمة ، انه يريد بها خدمة الامير ، وان كانت الشواهد التاريخية ، حتى الآن لما تسعفنا بذلك . وغيرنا يجعل الخدمة لعمر الخيام ولكن سياق الكلام لا يطاوعنا فى هذا التفسير.

ربيع أوراق الورد».

فبدا لى ان هذا القول مستحيل الوقوع ، ولكنى كنت اعلم ان مثله لا يقول هذا جزافا .

وفى سنة ثلاثين وخمسمائة ، حللت بنيسابور ، وكانت قد مضت اربع سنوات على الوجه العظيم الذى كان قد حجب بنقاب التراب ، واصبح العالم السفلى يتيما منه .

ولما كان له على حق الاستاذية ، فقد ذهبت يوم جمعة لزيارة قبره ، واصحبت معى احدهم ؛ حتى يرينى تربته فأخرجنى الى مقبرة الحيرة (I) وتحولت يسارا ، فرايت قبره موضوعا اسفل حائط حديقة ، كانت اشجار الكمترى والمشمش تتدلى اغصانها خارجة من تلك الحديقة عليه ، وتنشر عليه كثيرا من اوراقها ، بحيث ان قبره كان قد غطى بالازهار .

حينئذ تذكرت تلك الحكاية التى كنت قد سمعتها منه بمدينة بلخ ، فادركنى البكاء على ذلك الاستاذ الذى لم أر له نظيرا قط ، فى بسيط المعمور واقطار الربع المسكون ، جعل الله تبارك وتعالى مثواه فى الجنان بمنه وكرمه.

هكذا أورد عروضى هذه القصة ، فيما اورد من حكايات اخرى ، اتى بها فى هذه المقالة ؛ تدليلا على ما لعلم احكام النجوم من حقيقية واقعية ، حصلت منها امثلة لكثير من علماء التنجيم ، كان الخيام من بينهم ، كما كان عروضى نفسه كذلك .

وما علم انه بعد ما يربو على ثمانية قرون ونصف ، سيكذب الواقع هذا العلم ، وتنقل رفاة الخيام ـ ان كانت ـ من ذلك القبر الذى كانت الزهور تنتشر عليه كل ربيع ، فهل تنثر عليه فى مقره الجديد ؟ لا ندرى...

(I) العبارة فى النص الفارسى هكذا: مرا بكورستان حيره بيرون آورد والحيرة هذه محلة كبيرة ومشهورة خارج نيسابور على طريق مرو.

مظاهر الحركة المسرحية

محمد مصطفى الفباج

1 ـ التأليف المسرحي :

حين يبدأ الحديث عن المسرح ، او يفتح باب المناقشة حول مشكلة التأليف المسرحي ، تتداخل آراء وتتضارب اخرى ، فى مختلف الميادين ؛ عدا التأليف المسرحي الذى يشكل جوهر الموضوع الذى تريد الجماعة دراسته، ظهر ذلك جليا من خلال المناقشة التى افتتح بها اسبوع المسرح تحت رعاية اتحاد كتاب المغرب العربى .

أللمغرب مسرح حقيقى اصيل ؟ هل هناك تأليف مسرحي جاد ومنتظم، يقوى الحركة المسرحية ويساير اتجاهات الفكر والاجتماع ؟ هل التأليف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جماعة مـن المثقفين خلال مناقشة موضوع «التأليف المسرحي فى المغرب»

المسرحى الذى يمارسه رجال المسرح انفسهم يتضمن عملا اجتماعيا وادبيا غير النكتة والتعريض ؟ هل تاليفنا المسرحى ينبغى ان يجعل المضمون عبارة عن حلول اجتماعية ؟ اسئلة وضعت خلال الاسبوع وتشعبت حولها الآراء بين متفائل ومتشائم ، بين ساخط كل السخط ، وراض كل الرضى.

والواقع ان المناقشات اظهرت لنا ، انـه لا التفـاؤل المفرط ، ولا التشاؤم المبالغ فيـه ، يحسن انتهاجهمـا للحديث عن المسرح والتأليف المسرحى ...

الجميع مقتنع بان المسرح يسير وفق المستوى الفكرى العام فى بلادنا.. اذن المسرح بدوره فى ازمة .. تاليفه وانجازه ، ازمة لها علل واسباب متكثرة من حيث الناحية المادية او المعنوية . ان هناك شعورا جليا بهذه الازمة وانه لا الدولة بمستطاعها ان تتفهم الموقف ولا الفرد كفرد يستطيع ان يجد لها الحلول المناسبة ... وحين تصل بنا المناقشة الى هـذا الحد نتوقف ، لا نستطيع الاستمرار لتصور الحلول ... على الاقل تصورها .

ولى راى هنا ، قد يكون حلا ، وقد يكون استمرارا فى المناقشة ؛ فحيث ان المعطى الاساسى للمشكل ، كون ازمة المسرح أزمة مادة ومضمون، أعنى تاليف ، وحيث انه ليس هناك احد ينفى وجود شباب يحاولون ما أمكنتهم المحاولة كتابة اعمال مسرحية أصيلة ومشرفة ، فانه من المفيد ان نؤسس جمعية تكون نواة لاتجاه فى التاليف المسرحى يقتصر نشاطها على تنظيم اجتماعات ـ لا تكلف مصاريفا ـ تقرأ فيها المحاولات وتناقش وتوجه، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى تنظيم محاضرات للتوعية المسرحية ونقد الاعمال المنجزة من حيث الناحية التقنية ,

ويظهر لى ان بتنازل البعض من الكتاب الشباب بتخصيص فترة من وقتهم الذى يذهب هباء ، والقضاء على فكرة التبارى والجوائز من طرف المحاولين فى الكتابة المسرحية ... قد نصل الى نتائج ايجابية فى هذا المجال.

2 ـ الاقتباس :

توجد لدينا اشكال متعددة من الاقتباس : شكل يجارى رغبة الجمهور

اخذت هذه الصورة أثناء المحاضرة التى القاهـا الاستـاذ عبد الله شقرون حول ندوة فيرجيو المتعلقة بمو ضـوع المسرح العربى المعاصر

العادى ، اعنى بذلك الاقتباس الذى يمغرب المسرحيات ويعطيها او يحملها صبغة النكتة ، وشكل آخر يحتفظ للمسرحية المقتبسة بمعقوليتها ومضامينها الثرة ، نشاهد ذلك فى بعض الاعمال المغمورة التى تحاول التعريف بالمسرح الوجودى والمسرح الطلائعى الحديث . ولكل شكل من هذين الضربين درجة خاصة من التفوق ، فنيا وجماهيريا . لكن الحقيقة المرة هو اننا لا نقدم فى حب وتفهم على اقتباس جدى ، اما الصعوبة او الجرأة ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والسؤال الذى يطرح ، او يمكن طرحه هو لما ذا نضطر الى الاقتباس والترجمة ؟ لاننا ـ بكامل الصراحة ـ نعانى فى المغرب ضعفا فى التاليف، وضعفا نفسيا ؛ لاننا نريد ان نستر انفسنـــا وراء الكلمات او الاعمال المغشوشة . كل هذا يضطرنا الى ان ندعو فنانينا الى التقليل من الاقتباس والترجمة ، وتخصيص الجهود ، نفس الجهود للاعمال المؤلفة الموضوعة .

3 ـ الجمهور والمسرح :

أزمة المسرح ، أزمة تأليف وأزمة جمهور ؛ يمكن ان نعتبر هذا تحديدا كاملا لعناصر الازمة وحدودها . لقد حاولنا قبل ان نوضح فقرنا الى تأليف جدى يرفع من مستوى المسرح ، وعلينا الآن أن نبرز انعكاس الضعف الاساسى على الميدان الجماهيرى وبصريح العبارة على المستهلكين للانتاج

المسرحى ، ان صح لنا استخدام هذه المصطلحات الاقتصادية فى ميدان الدراسات الفنية .

الحقيقة المرة فى هذا المجال ، هى ان عنصر الجمهور الواعى مفقود فى بلدنا . ولدينا مجموع من المشاهدين ... لكن الجمهور المتفهم الذى يستطيع ان يحدد اختياره ، ويلازم ذلك الاختيار ويقيمه ، ويرفع من مستواه حسب التطور الذى تسير عليه الحركة المسرحية فى العالم ، هذا الجمهور لا يوجد ... ومهمة ايجاده او تكوينه تقع على كاهل اهل المسرح والادب .

ويمكن القول ان هؤلاء واولئك بدأوا يشعرون بضرورة القيام بعمل من هذا القبيل ، عمل ومجهود من شأنهما ان يصعدا بالمشاهدين الى مستوى الجمهور ، مستعملين فى ذلك الكتابة ؛ التعريف الشفوى ، التداريب المخصصة ... لكن ويالاسف هذا العمل وهذا المجهود يسيران فى بطء ، ويجعلان نقطة انطلاقهما المفهوم الكلاسيكى للجمهور ، المفهوم الذى يجعل من المشاركة الكلية عنصرا ضروريا بين الموقف المشاهد والمشاهد ، فى حين ان هذا العنصر تعديناه الآن ... اننا فى مرحلة تلزم ضرورة التفهم قبل كل شىء ، ان يبقى المشاهد خارج المسرحية ليستطيع المقارنة بين ما هو «أزمتى» ومضحك ... بين مضمون الموقف المأخوذ ، ومضمون الحياة فى صيرورتها وعموميتها .

لقد ابرز المسرح الطليعى ، وحتى المسرح الوجودى وجوب سيادة هذا الاتجاه فى تحديد مفهوم الجمهور .

هناك اقتراح وجيه ، تقدم به احد المشاركين فى «اسبوع المسرح». يتلخص فى: تنظيم حملة للتعريف بكل مسرحية جدية، يفكر فى انجازها، تبدا هذه الحملة فى وقت مبكر وتشتمل على محاضرات ومناقشات واذاعيات.

لا أدرى هل فى الامكان انجاز هذا الاقتراح ، لكنه وجيه وله حظ كبير من الصواب .

3 ـ ملاحظات عامة :

كثير من الاخوان الذين اشتركوا فى الاسبوع يعتقدون ان اسبوعا

من هذا القبيل حسنته الوحيدة هى الفات النظر الى حقيقة الوضع بالنسبة للمسرح المغربى ... لكنى أرى انه نقطة انطلاق نحو محاولات جريئـــة فى ميدان تكوين اتجاه فى التأليف المسرحى وتوجيه المشاهدين ليصعدوا الى مستوى جمهور اصيل وواع ... ولذا يلزم علينا ان نلحق هذا الاسبوع بتبادل المناقشات ، ونشر الدراسات ، وتأسيس حركات من شأنها ان تخدم مصلحة المسرح ببلادنا ، ومن جملة تلك الحركات التداريب المختصة مثلا فى التأليف المسرحى ، او التعريف ، او النقد تضم الكتاب الشبابم... واخيرا محاولة خلق جو فكرى يكون كفيلا بان يفرض على الفنانين تطوير عملهم والتعلق به فى حب وجرأة ... الجرأة لتحدى كل الصعوبات التى نخلقها نحن ، او يخلقها من حولنا المجتمع ... وليس المجتمع على حق فى كل شىء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جمعية قدماء تلاميذ

ثانوية مولاي ادريس بفاس

بمناسبة الاجتماع العام السنوى الذى عقدته جمعية قدماء ثانوية مولاى ادريس بفاس ، تلك الجمعية المجاهدة التى لها ايادى بيضاء فى تاريخ مغرب القرن العشرين ، يسعد «آفاق» أن تنشر التقرير الادبى الذى القى خلال ذلك الاجتماع . وفى العدد المقبل ننشر نداء من الجمعية الى مجموع اعضائها بداخل المغرب وبالخارج .

التقرير الادبى عن نشاط الجمعية

اخوانى :

لا حاجة الى التذكير بماضى جمعيتنا الطويل الملىء بالكفاح فى ميادين الوطنية والتهذيب والثقافة وارشاد الشباب المدرسى وتوجيهه نحو العمل المثمر المفيد .

ومنذ ان وضع اخواننا ثقتهم فينا بانتخابنا لتسيير شؤون الجمعية ونحن نعمل بكل جد وحزم لربط حاضرها بماضيها ، وذلك بجعلها اداة فعالة لاشاعة الثقافة الحق بين مختلف عناصر الامة ولمتابعة عملها الانسانى فيما يخص التلاميذ الذين نقدم لهم اعانات معنوية ومالية بانتظام .

كان من الواجب ان ينعقد هذا الاجتماع قبل هذا التاريخ بكثير ، غير ان الظروف الصعبة التى عاشها المغرب خلال السنتين الاخيرتين هى التى جعلتنا نؤخره مرة بعد اخرى الى ان يصفو الجو وتتاح لنا فرصة متابعة رسالتنا بكل عزم وقوة .

لقد عملنا دائما ـ وأؤكد لكم اننا نجحنا فى مهمتنا ـ على ان تبقى الجمعية بعيدة عن السياسة والخلافات الطائفية ليلتقى على صعيدها فى

محاضراتنا وندواتنا ومهرجاناتنا قدماء هذه المدرسة الذين تفرقهم خارج نطاقها المذاهب السياسية والآراء الحزبية المختلفة . وبذلك نكون قد نجحنا فى جعل الثقافة فوق جميع الاعتبارات وهو عمل نادر ونجاح لا مثيل له فى هذا الوطن .

وبودى الآن ان أعطيكم صورة عن نشاط الجمعية الذى لم يعرف قط الفتور لاننا جندنا انفسنا لمواصلة الكفاح وموالاته بعزيمة لا ينالها الوهن ولا يصيبها الخمول .

ويمكننى ان اذكر من مظاهر نشاطنا ما يلى :

فى الميدان الثقافى : استدعاء محاضرين من المغاربـــة والاجانب من مشارقة واوربيين ليحاضروا باللغتين العربية او الفرنسية .

لقـــد استقدمنا منهم اكثر من اربعين تحدثوا الينـــا فى مختلف الموضوعات الفكرية والعلمية وبذلك كانت محاضراتنا فى مستوى رفيع جعل مثقفى المدينة يخفون اليها ويحضرونها بمواظبة .

اما المهرجانات : فقد كانت فى اكثرها مسامرات وندوات تحضرها جماعة خاصة من رجال الفكر بالبلد وتدور حول مشاكل الشباب والتعليم والثقافة على الخصوص ومن ابرزها ذلك المهرجان الذى هيأناه بمشاركة مجلة « آفـــــاق » حول موضوع : العلاقة بين التلميذ وعائلته حيث تحدث بعض اعضاء المكتب الحالى .

ثم مشاركتنا ايضا فى مهرجان ابن خلدون الذى اجرى بالرباط ثم بفاس تحت اشرافنا واشراف «جمعية كتاب المغرب العربى» الذى نغتنم هذه الفرصة لنحيى اصدقاءنا العاملين بها مؤملين ان يكون الاتصال بهم امتن فى المستقبل ليكون نادينا بفاس كناديهم ـ دار الفكر فى الرباط ـ مركزا للاشعاع الفكرى والثقافى .

وبهذه المناسبة نذكر انه سيصدر عما قريب كتاب عن هذا المهرجان يسجل مشاركتنا الفعالة فيه ويكون بذلك وثيقة مكتوبة لنشاطنا المتزايد.

اما فيما يخص الاسفار ، فقد قمنا بتهييء عدة منها وعلى الخصوص ،

الى مركز الفوسفاط وسد بين انويدان لاطلاع التلاميذ على المنجزات المهمة في بلادنا . كما قدمنا اعانة تبلغ 3.000 (ثلاثة آلاف درهم) لجماعة من تلاميذ الاقسام العليا قصدوا فرنسا خلال العطلة الصيفية لقضاء شهر بها وذلك للتجول في ربوعها والوقوف على مظاهر تطورها ونهضتها في عين المكان .

كل هذا بالاضافة الى الحفلات الموسيقية التي كنا نقيمها للعموم أو لتلاميذ القسم الداخلي خاصة والجلسات العديدة التي عقدناها مع التلاميذ لمحاولة ايجاد حلول للصعوبات التي تعترض طريقهم في جو من الصداقة والصراحة .

ايها الاخوان :

ستستمعون بعد قليل الى التقرير المالي الذي يطلعكم بكل تفصيل على النشاط المادي للجمعية وأبادر فأخبركم باننا لم نأل جهدا في القيام بواجبنا نحو التلاميذ في هذا الميدان الذي هو مهم جدا بالنسبة اليهم .

فنحن نوزع عند بداية كل سنة دراسية كثيرا من الكتب العربية والفرنسية والدفاتر والادوات . كما نقدم عند ختم كل سنة هدايا تشجيعية كجوائز للطلبة المتفوقين . اما المنح المالية المنظمة فاستطيع ان أؤكد اننا قمنا فيما يخصها بمجهودات جبارة لعلمنا بالصعوبات المادية التي تعترض طريق التلاميذ ولايماننا بان هذه الصعوبات من شأنها ان تعوق المجتهدين منهم على الخصوص في دراستهم وتمنعهم من متابعتها .

من اجل ذلك كنا نوزع سنويا ما ينيف على 10.000 (عشرة آلاف درهم) في هذا المضمار وحده .

ويسرني ان الفت نظركم الى اننا لم نكن نخص بهذه الاعانات ثانوية مولاي ادريس وحدها ـ وقد كان لها فعلا الحظ الاوفر منها ـ بل كنا نحاول ما امكن ان يتمتع بها اكبر عدد من تلاميذ مختلف ثانويات المدينة ، وبذلك يظهر واضحا اننا تعدينا دور جمعية قدماء تلاميذ مدرسة ثانوية خاصة لنقوم بآخر لا يقل عنه اهمية وهو دور جمعية للآباء .

ومجمل القول اننا لم نبخل قط على تلامذنا بمساندتنا وتشجيعنا

المادى والمعنوى لتوجيههم نحو ما فيه خيرهم وصلاح امورهم .

ايها الاخوان :

ان الحديث عن النشاط الادبى للجمعية يستلزم الاشارة الى مواردها وهنا لا يسعنى الا ان اشكر الاخوان الذين كانوا لا يبخلون علينا بتبرعاتهم عند الحاجة وكذلك وزارة التربية الوطنية والمجلس البلدى لمدينة فاس وادارة الشبيبة والرياضة على اعطاءاتهم التى كانت تمكننا من القيام بمهامنا ومتابعة اعمالنا على احسن وجه .

ايها الاخوان :

هذا عرض موجز لنشاط الجمعية الادبى لاحظتم من خلاله ان المكتب الحالى قد قام بمهمته خير قيام . ـ ما وسعه الجهد ـ وانه عمل على ان تبقى الجمعية مستقلة الكيان بعيدة عن الخلافات السياسية التى كانت تعصف فيها لو انغمرت فيها واملى ان يشمل المكتب الجديد الذى ستنتخبونه بعد قليل اعضاء مستعدين للقيام بواجبهم وللتضحية احيانا فى سبيل هذه الجمعية العتيدة بوقتهم وراحتهم وبشىء من مالهم ان امكن .

ويسيروا بها قدما الى الامام وفق ما تأمله الجميع .

انها امانة نلقيها على عاتقهم ونسلمها اليهم ليحسنوا التصرف فيها

فاس فى 1964/1/26 عن المكتب : الرئيس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اعضاء المكتب لسنة 1964

الرئاسة الشرفية : محمد الزغارى والى بنك المغرب بالرباط

العابد العمرانى صيدلى بالدار البيضاء

الرئيس : عبد الكريم بنجلون نقيب المحامين بفاس

الخليفة الاول : محمد السغروشنى محام بفاس

الكاتب العام : عبد الوهاب التازى استاذ بكلية الآداب بفاس

خليفته : محمد التازى مستشار بمحكمة الاستئناف بفاس

أمين الصندوق : عبد اللطيف برادة صيدلى بفاس

خليفته : الحاج عبد الوهاب لحلو موظف متقاعد

الخزانة : الحاج عبد السلام التويمى موظف متقاعد

محمد الداودى مدير مدرسة الدوح الابتدائية

محمد التازى مفتش بادارة التسجيل

المستشارون : عبد انعزيز عيوش مدير ثانوية مولاى ادريس ومندوب وزارة التربية باقليم فاس

محمد بنعبد السلام بنشقرون صيدلى، عضو مجلس المستشارين

عبد السلام العلوى محام

محمد الزغارى مدير مدرسة

مراقبا الحسابات : عبد المجيد جسوس من رجال الصناعة

احمد بنكيران تاجر

لتمثيل الجمعية ـ الرباط :

محمد الزغارى والى بنك المغرب

محمد الفاسى رئيس جامعة محمد الخامس

محمد عزيز الحبابى عميد كلية الآداب

البيضاء : الحاج محمد جسوس تاجر بالبيضاء

العابد العمرانى صيدلى بالبيضاء

محمد الحجوى مدير ثانوية مولاى الحسن

تـــازة : محمد الشبيهى رئيس محكمة الاستئناف بتازة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تعقيب

عبد الرفيع الجوهري

- **هلال ناجى وخليل خورى يعيشان فوضوية البحث عن اتجاه**
- **الازدواجية والمعنى الواحد لهما دلالاتهما فى العربية**

زفزاف أخى ...

التقيت بك على صفحات العدد السابق من «آفاق» . كم أنا سعيد بهذا اللقاء لانه بداية لعلاقة مستمرة يوثقها الحرف والهدف الواحد .

لقد كانت تعقيباتك على قصائد العدد الثانى طريفة رغم انك آثرت أن لا تزيد على سطور قليلة ، وتحاشيت ان تغوص الى الاعماق فلمست الموضوعات من بعض جوانبها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأحب هنا ان اضع اصبعى على هذه الفقرات :

«تذكرنا معانى وأخيلة القصيدة بشعر هلال ناجى ... خليل خورى ، و لاعجب فى ذلك فشعر الفحول فى الشرق قد بلغ المغرب صداه وتأثر به شبابنا أيما تأثر».

«هلال» هذا أذكر انه بدأ يمارس التجربة الشعرية بالتقريب زمن العدوان الثلاثى على مصر ... والفترة الفاصلة بين 1956 ـ 1964 غير كافية لتجعل منه خالق مدرسة ذات كيان تبسط ظلالها وتأثيراتها على الحركات الشعرية الاخرى ، لكن هذا لا يمنع من ان نضع «ناجى» فى صف الشعراء الطلائعيين بالعراق .

فقد غنى بحرارة لثورة 14 رمضان وعاش القضية بعمق ، بل ان استشهاد شقيقه الملازم وجدى ناجى «وهو يدك بنيران دبابته قلعة الطاغية

عبد الكريم قاسم» جعله يعيش ذلك المد الثورى ... الذى عرفه الشعب العربى فى العراق ... باعصابه وممكناته اكثر من اى واحد .

ان الشاعر العراقى الشاب لا زال يعيش فوضويـــة الباحثين عن اتجاه ، فهو ما زال يتأثر بفحول الشرق الحقيقيين كسليمـان العيسى شاعر الثورات العربية حيث ينسج هلال على منواله فى جل ما كتبه من شعر.

اقرأ معى هذا المقطع من قصيدة «هلال» «ثلاث رسائل الى شهيد» (2):

حكيت لها عن حكاياتنا
وعن فارس مثل عمر الزهور
ولطف القمر
تالق فى ليلنا المعتكر
وكيف مضيت بقلب شجاع
تدك القلاع
على ظهر دبابة زاحفة
وانك غبت بدون وداع

هكذا يجعل هلال بطل قصيدته ثائرا من ثوار 14 رمضان ، وهو حين يعمد الى هذه الطريقة يتأثر الى مدى بعيد بسليمان العيسى شاعر سوريا العظيم .

اقرأ معى هذا المقطع من قصيدة سليمان «ثائر من المغرب»

كان كالطيف شرودا ... كالظلال
بن سعيد
نبرة وادعة تأتيك من غور بعيد
كيف يورى الجدول الساكن نيران القتال ؟
يشعل الصخر لهيبا
يملا الوادى زئيرا وشظايا
ومنايا
كيف ؟ لا تسأل !! دع الافق الخضيب
والسماء القاتمة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والجبال النائمة
وشعاب الاطلس الجبار تنبئك الخبر
تتحدث عن حكايات الرجولة
واساطير البطولة

هنا كالتقاء بين المقطعين مع فرق واحد هو قوة المقطع الثانى ... فبطل المقطعين ثائر ، الا ان ثائر هلال من بغداد وثائر سليمان من المغرب، كما ان البناء العام للقصيدتين متشابه الى مدى بعيد : كل من الشاعرين يضفى على ثائره أوصافا رقيقة : «فارس مثل عمر الزهور» كان كالطيف شرودا» ثم يتطرق كل منهما الى الاشادة ببطولته ونضاله : «كيف مضيت بقلب شجاع تدك الفلاع» «كيف يورى الجدول الساكن نيران القتال».

فمن الذى تأثر بالآخر ، هلال ناجى ام سليمان العيسى ؟؟ لا أريد أن اعطى جوابا ... أريد أن اقول مرة اخرى : ان هلال ناجى لا زال يعيش فوضوية الباحثين عن مدرسة ، ونحن هنا فى المغرب كلنا باحثون عن تلك المدرسة ، واذا خضعت انتاجاتنا لتأثيرات الشرق فانها على كل حال لم تتأثر بهلال ناجى الذى يتأثر هو نفسه بمن أثروا فينا من صناع الاتجاهات الذين يمثلون مرحلة ناضجة فى أدبنا العربى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما خليل خورى الذى اشرت له فى تعقيبك فهو نفسه يبحث عن مدرسة ، ومتأثر كهلال ناجى بسليمان العيسى مع فارق واحد هو انه متأثر بصورة أعمق ، وفى ديوانه : «صلوات للريح» يتبلور ذلك ابتداء من عنوان الديوان الذى يقارب عنوان احد دواوين العيسى : «صلوات لارض الثورة» ، بل ان خليل خورى يستعمل حرفيا فى شعره الكثير من تعبيرات شاعر سوريا الكبير ... «صلوات للريح» ، هذا التعبير نفسه نجده فى قصيدة سليمان : «أنشودة الى الجزائر فى عرسها العظيم» :

ياموجة أفراح العيد
أيكون لهاث أناشيدى
منذ انثال النغم القلق
حلما ؟

وصلاة للريح

* * *

زفزاف أخى :

قلت فى تعليقك ايضا :

«الموسيقى تدفع بالشاعر الى الخطأ اللغوى» ، اسمعه يقول :

أللحرف ... من أجله ترحلين ؟

فعوضا من ان يقول : أللحرف ترحلين أو من أجل الحرف ترحلين، تراه يقحم اللفظين معا ليقول لنا معنى واحدا ».

ازدواجية اللفظ مقابل المعنى الواحد ، يسمونها فى اللغة العربية بالترادف ... وهذا «الترادف» له دلالاته وليس اقحاما او خطأ لغويا كما ورد فى تعقيبك .

وفى المقطع المذكور من «راحلة» استعملت ترادفا ، للتعبير عن اللهفة وعن حالة اهتياج نفسى يدفعان ببطل احداث القصيدة الى الاستغراب من جبروتية الحرف الذى سيفرق بينه وبين انسانة عزيزة عليه لم تستطع ان تفرق بينهما قوة اخرى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعندى ان الترادف هـو التعبير الدقيق الصادق عن اللهفة : اللهفان رغم كثرة انفعالاته وتلاحقها لا يخرج عن صورة واحدة هى صورة اللهفان ، والموقف الذى عبرت عنه فى ذلك المقطع من «راحلة» كان موقف لهفة ، ولذلك فقد قصدت ان تتلاحق كلماته كما تتلاحق أنفاس اللهفان ... فاستعملت «الترادف» لانه يعبر عن ذلك التلاحق ويعطى معنى واحدا ... شيئا واحدا وانا ابحث عن ذلك الشىء الواحد .

واذا كانت القصيدة فى هيكلها العام تنبنى على تفعيلية «المتقارب» «فعولن» هكذا :

أللحرف من أجله ترحلين
فعولن فعولن فعولن فعول

فاننى لم استعمل الترادف للمحافظة على الاستمرارية النغمية ، كما

تكهنت فى تعقيبك .

بقى ان اشير الى ان الترادف الذى استعملتـــه ترادف معنوى : «اللحرف» لا تشبه فى بنائها الحرفى «من اجله» فهما مختلفان حرفيا لكن المعنى واحد ، وهذا النوع من الترادف موجود بكثير فى شعر أبى فراس الحمدانى (932 – 967) .

قال ابو فراس حينما بلغه موت والدته وهو ما بـــرح أسيرا فى القسطنطينية اثر المعارك التى دارت بين البيزنطيين والدولة الحمدانية :

أيا أمـــاه كـــم سر مصون بقلبك مـات ليس له ظهـور
أيا أمـــاه كـم بشرى بقربى اليك ودونها الاجـــل القصير

جملة «بقلبك مات» هى هى نفسها «ليس له ظهور» هناك اختلاف حرفى لكنه يفيد معنى واحدا هو الاختفاء .

وابو فراس استعمل هذا النوع من الترادف لغرض مقصود هو ان أمه كانت تحفظ سره طيلة حياتها وحملته معها الى القبر فمات كما ماتت واختفى كما اختفت .

وهناك نوع آخر من الترادف هو الترادف الحرفى ... جاء فى القرآن:

«ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا»

فتكرار «ما كان» ترادف حرفى له دلالة هى التعبير عن الاستغراب.

ومن بين المعانى الاخرى التى يدل عليها الترادف بنوعية الحرفى والمعنوى :

أ) اللهفة : كما جاء فى هذا البيت من قصيدة رثائية لابى فراس الحمدانى :

الى من أشتكى ولمن أناجى اذا ضاقت بما فيها الصدور ؟؟

التعبيران : «الى من أشتكى» و«لمن أناجى» يفيدان معنى واحدا هو افتقاد أنيس يخفف عن الشاعر احزانه وتعاسته ، والغرض من هذا الترادف هو التعبير عن اللهفة : فهذه الكلمات متلاحقة كانفعالات اللهفان ومختلفة

فى بنائها الحرفى كاختلاف انفعالاته لكنها تدل على ذلك الشىء الواحد الذى تعبر عنه تلك الانفعالات .

ب) الترغيب :

تقول الشاعرة العربية الخنساء فى رثاء اخيها صخر :

أعينى جـــودا ولا تجمـــــدا ألا تبكيـــان لصخر النـــــدى
ألا تبكيـــان الجواد الجميـــل ألا تبكيـــان الفتى السيـــدا

فعل «جودا» هو نفسه «لا تجمدا» ، هناك التقاء من حيث المعنى.

مفروغ منه ان الخنساء لم ترتكب خطأ لغويا بهذا الترادف. ولا اظنك لن تتأثر بالبيت الاول من قصيدة الخنساء وبالاخص «بصدره» الذى يحوى فعلين مترادفين يفيدان معنى واحداً هو البكاء ... المزيد من الدمـوع لصخر الفتى الطيب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أيها الضياع

محمد السرغيني

الفصل الثاني

كنت قد قررت ألا أضخم شقائى خصوصا وانى عرفت ان هـــذا الشقاء لن يفتح كل المسام المرتعشة من نفسى ، لتتقبل الاصباحات بمزيد من الاشراق والطراوة . كنت عاجزا عن ان أتخيلنى فى غمرة هذا الشقاء، جناحا يخفق ولا ينى . فأنا مضطهد فى هذه المدينة الغارقة فى حلم لا يفيق أبدا ؛ اذ كنت مثلا حين تشتبك قدماى مع الارض فى خطواتها ، أشعر بأننى أخطو على حبات رملية هشة ، لا تلبث ان تتراجع امام هذه الخطوات الخشنة ، فتزداد توغلا فى الاعماق . ولهذا كنت أتألم اذ أقارن نفسى بسائحة اجنبية ترفل بطيش فى شارع «بوليش» . هى تنثر خطواتها بفتوة غريرة ، ولكنها واثقة من نفسها . أما انا ، فأرميها بحتمية، وكأننى ارمى قاذورات فى بالوعة جائعة . لم أكن لائق من نفسى ، لاننى حتى فى بلادى ، كنت أحسنى متشردا ضالا . هى تنطلق بعفوية عبر الشوارع، وكأنها تحمل على كاهلها ميراثا حضاريا هو دليلها . وانا انطلق فى ذعر، وكأننى نسيت انسانيتى فى غرفتى .

كان الاندهاش يفترسنى ، ويستغرق كل ملامحى ، فأتلعثم حين أريد ان اوجه كلمة مدح مزخرفة لفتاة اعجبنى منظرها ، وهى تخطو فى الشارع متأنقة . وكنت حين ارقص فى مكان ما، تفترسنى موجات من التردد والتساؤل والحملقة فى وجوه النساء ، ولكننى مع كل هـــذا ، لم اكن لاجد القدرة على مواجهة واحدة بعينها ؛ وهذا ما جعل اغلب أيامى قاحلة ، لا يعشش فيها نغم ، ولا تنبت فى ظلها بسمة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه الخطوات الواثقة التى كانت تزمجر فى سمعى ، اذ تصطك مع صلابة ارض «بوليش» كانت تؤلمنى ، ترمى بى فى أتون من الخوف والحيرة . وكم حاولت ان أقند الآخرين ، فأتكلف القوة والثقة بالنفس، ولكننى كنت اضحك منى فى أعماقى . من منظرى الرخو المزيف . من كل حركاتى . وهنا واجهت نفسى بهذه الحقيقة :

«لن تستطيع ان تكون غير من أنت !! انك اذ تقذفك الشمس الى ربوة ثلجية ، لن تستطيع نداوة البرد ان تنتزع منك جلدك الملوح بالاشعة الفضية ، لتجعلك منسجما مع الآخرين».

انحنيت بمرارة وقوست ظهرى فى تسامح درويش ، واسندت ذقنى براحة يدى ، وضعت فى تأمل دقيق . وربما كنت أقصد من وراء هذا التأمل ان أنسحب بجبن من ذلك القدر المأساوى الذى ينتظرنى؛ اذ اننى كنت مصرا على ان أنفصل عن النوعى لاعيش بجسمى بضع دقائق. والحق انه يكفى ان يشعر الانسان بأنه فى اول خطوة نحو الحزن ، لتجتمع لديه خيوط صلبة لكل المآسى التى تهبه فورة من الشجاعة تدفعه حتما الى الانتحار . وهنا لوحت بيدى فى الفضاء ، كاننى اطرد عنى فكرة الانتحار ، اذ لاح لى كشبح مرعب . ولكننى لم ألبث ان ابتسمت فى اقتناع : «ان الشجاعة تنقصنى لكى انتحر لان الانتحار لم يعد جبنا ولا عارا. العار ان أعيش فى غياب انسانيتى . والجبن ان أعيش الحياة بثيابى ومعدتى فقط.» ونظرت الى الجدار بعصبية وغيظ .

اصبحت بعد هذا القرار عاطفيا ، لهذا لم أستطع العيش وحدى ؛ فكأن انسانيتى كانت عبئا احمله من غير كبير قدرة على حمله . وبدات أتوقع ان ارهاصات جديدة يمكن ان تلوى سمائى . فمن يدرى ؟ فالمآنى مليئة بالمفاجآت . ولكن هذا التفاؤل لا يلبث ان يضيع ، اذ يتأكلنى شعور بالفراغ قاتل ، ونحد الآن لا زلت أشعر بذلك الاحتقار المر يقلقنى فيضطهد اغترابى . أما خطواتى ، فلا زالت قلقة فى شوارع باريس؛ لاننى على كل حال انسان من بلد متخلف .

كنت فى غرفتى حينما راودتنى هذه الهواجس ، وكنت أزحلق

جسمى فوق فراشى الضيق تبرما بهذه الاحلام المرتعشة التى تقتل فى كل شوق للحياة ، وتجعل قراراتى خرساء فاقعة . وكنت حين أضيق بالوحدة ، اختطف ثيابى من حمالاتها ، وألبسها بشكل فوضوى ، لاجد نفسى فى الشارع ، أسعل مع لهاثه ، وأزأر مع هديره . ولكننى احسستنى ثقيلا مشدودا الى الفراش بألف عروة ، كان موجات من اللزوجة تشدنى الى واقع بليد يعطل احساسى ؛ ولهذا كنت أشعر بمأساتى من خلال دموعى المتكبرة التى تتهاطل فى صمت داخل اجفانى .

كنت أريد ان اواجه هذه المأساة بكثير من العفوية والفهم ؛ كنت اريد ان ارتطم معها بثبات : ان ألقى عليها كل الثقل المادى لرجولتى ، لاعيش ولو لحظة بطولة . ولكننى تلاشيت كقطعة سكر فى ماء ساخن ، وانهارت تلك النظريات البطولية التى أسجن نفسى فى قوقعتها . واذ كنت مشغولا بتحريك عواطفى من اجل هذه البطولة ، فان كل مسام جلدى كانت تتفتح وتنغلق فى حركة دائبة احتجاجا على هذه الهروبية الطفلية التى استسلمت لها . والحق ان نوع الحياة التى عشتها فى بلادى ، لم يكن ليزودنى الا بهذا القدر من اللحظات المرتعشة بذل امام كل عمل حاسم ؛ فقد تعودت ان أتخذ قرارات ربما تكون فى منتهى الخطورة ، ولكنها على كل حال فى منتهى الايغال فى خدمة نفسى . أما من الناحية المادية ، فلم يكن من المستحيل على أن ارفض أى شىء لا يتناسب مع قوتى الجسمية ؛ ولهذا فقد اكتسبت بعض أطرافى كثيرا من النعومة : يداى ورجلاى مثلا .

وبما اننى عشت فى أسرة ألفت ألا يظللها ثغاء طفلى امدا طويلا ، فاننى وجدتنى أعيش حياة مدللة ، كادت تبعد عنى كل صفات الرجولة فى المستقبل . فأنا تسربت الى هذه الاسرة عبر الظلام بعد انتظار طويل، لاكون وحيدها .

وهكذا وجدتنى أتتبع اخطائى ، وأحاول كعادتى ان اتخلص منها ، لابرر وجودى ، وألصق التهمة بالآخرين ، وذلك بالطريقة التى تحلو لى .

ولكننى لم ألبث ان غمغمت من وراء شفتين ترتعشان احتقارا : «كل منا يصنع قدره ، والذين لا يصنعونه ، لا يمكن ان يكونوا غير آلات

صدئة فبشريتهم قالب بليد لكل حركة جامدة غير خلاقة . واذا كنت قد عشت طفولة تافهة ، بين احضان جرفها الحنين ، فنسيت انسانيتها فى غمرة اصطخابه ، فان ذلك ليس من شأنه ان يفوت على الفرصة : يجب ان أعمل من اجل نفسى ، ومن اجل الآخرين . «والى هنا ،» فقد مللت من هذه التحليلات التى شعرت انها مفتعلة أبدد بانتفاضاتها اختناق الوحدة الذى يعتصر شراييني .

وسمعت طرقا رقيقا على الباب متتابعا . كانت الطرقات تئن أنينا لا يفسر ، ولكونى لم احتمل هذا الانين ، فقد سارعت الى فتح الباب بكثير من السرعة واللباقة ؛ اذ لم ارد أن احدث ضجيجا فى المعبر الطويل الذى تنتظم جانبيه ابواب خشبية لامعة فى حركة منسقة عجيبة . كانت هذه الابواب هى البيوت التى تؤوى الطلبة فى جوفها الغارق فى الصمت. والحق اننى شعرت بامتعاض حين فتحت الباب ؛ فقد واجهتنى كومة من الفراغ البارد . كنت اشعر بانها تحملق فى وجهى بتحد وصلابة . ولم اشأ أن اوجهها بجبنى ، بل نظرت فى المعبر يمينا وشمالا ، بسخط : «لو كانت الارض ؛ أرض هذا المعبر من رخام ؛ من أى شىء صلب ! لكنا جميعا نعيش داخل بيوتنا لحظة انتظار وقلق : انتظار للنتيجة التى تسفر عنها قرقعة الاقدام ، وهى تتتابع على طوله . فربما اسفرت عن زيارة نسائية حبيبة ، فتنتهى بعاصفة من الجدل لا تستيقظ . ولكنهم ، يصرون على قتل الاحساس حتى فى ارض هذا المعبر المتواضع . انه اخرس ، لا يمدك باللحظة الحرجة التى يعيشها كل انسان : لحظة الانتظار والشوق . «فأنا مثلا ، قد سئمت الوحدة فى غرفتى ، كرهتها ، وكنت مستعدا أن ألتحم فى ملحمة غزل حتى مع الشيطان ؛ فانها كانت على الاقل كفيلة بأن تستنزف منى بعض انسكابات فكرية ، استوحيها من حضورها المظلم الشرير . وقلت :

«انهم يغلقون الارض بصمت الجلد ، لانهم يراعون راحة السكان.» وتابعت محتجا : «هؤلاء السكان فى حاجة الى الصخب ؛ لانهم يعيشون فترة صخب متأوهة : كلهم فى الريعان ، ان عرقا لزجا قد انسدل على

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أرض هذه الغرف التى أشاهدها ، طيلة ليلة البارحة ؛ فقد كانت الاقدام مجنونة وهى تندفع فى ايقاع مع النغم . كانت تحدث صخبا حبيبا يجعلنى لا انام سهرا عليه ، وحدبا على تعبيره الريعانى الحنون . اما الراقصون والراقصات، فقد كانوا ملتحمين فى معركة انسانية : كانوا يصنعون الحب بطبيعية مجردة عن كل غيبة ميتافيزيقية . ها .. ها .. كل هذه الغرف ، عاشت لحظات صخب رفيع . كانت الانفاس فيها تئن ترجيعا للصوت الدافىء الذى ينبعث من المذياع . البارحة ؟ البارحة فى الليل فقط ! أما الآن فقد تلاشى كل شىء أمام هذا البرد الذى يزغرد لصمت الحيطان ، وخرس الطبيعة فى الحديقة المجاورة : البارحة ليلة الاحد . أليس كذلك ؟ أليس كذلك ؟»

وهنا عدت الى نفسى ، وتألمت لوحدتها طيلة مساء البارحة وليلها ؛ فقد كنت أود ان أقتحم غرفة ما من هذه الغرف ، وألقى بنفسى على كرسى داخلها بشكل تطفلى، واقوم بكل أنواع اللياقة التى يتكلفها البورجوازيون حين يطلبون المرأة للرقص ، وأنحنى بحركة مسرحية ، كما لو كنت اجعل من هذه الغرفة مرقصا عاما تتزاوج فيه السترات السوداء مع الفساتين البيضاء التى تشى بالانوثة ولا تكتم اسرارها .

وكنت فى هذه الاثناء ، قد تركت الباب مفتوحا يستقبل نسائم فاترة مختلطة بدفء المعبر ، واسندته على جدار غرفتى الايمن ، لدرجة انه حجب عنى تلك الخيوط الشعاعية التى تنبثق من «بيكاسو» المتشبث بجدارى فى شكل رسومه. ثم اعتمدت بظهرى؛ بكل ظهرى على الباب متأوها متهالكا، استقبل أنا الآخر هذا الفراغ السافر الذى لا يقول شيئا . ورايت صديقى اسماعيل يحبو خارجا من المرحاض ؛ كانت خيبة لا مبالية تطبق على أجفانه ، ولكنها لم تلبث ان تضخمت ، كانها نائم يتثاءب فيفتح عينيه من جديد على الدنيا . وضغط على يدى ببرود لم يمنعه من ان يكون ضغطا عماليا ، فقد كادت يدى تذوب تحت وطأة أصابعه الدقيقة الطويلة الصلبة. ونظر الى مستفهما ، وتخطانى الى قعر البيت . واغلقت الباب ، اذ لا داعى لبقائه مفتوحا . ان الوحدة تبددت . وقلت له :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

«أنت الذى طرقت الباب؟» فأجاب بحركة راسية تدل على عدم اكتراث ، أن نعم . وتابع :

«تذكرت بعد ان طرقت الباب ، اننى فى حاجة الى زيارة المرحاض.»

وخمد متكوما على نفسه . كان رواء ذيل يتدحرج على جسمه الضئيل الفاره . وقلت له بسذاجة :

«قررت ألا أعمل منذ الآن، لاننى لا أريد ان يتضخم شقائى. أما المال، فمن يدرى ؟ ربما بعث اهلى شيئا». ونظر الى باستنكار وسكت .

كنت اتحدث مع صديقى اسماعيل بصخب ، وكانت الساعة لا يمكن ان تتجاوز العاشرة صباحا . وفى هذه الساعة ، يحلو للذين سهروا الليل، ان يسرقوا ساعات من نور النهار ليعوضوا ما فاتهم . وفجأة ، سمعت طرقا مجنونا على الباب ، وانتهى هذا الطرق بصفعة أخاذة ، فجعلتنى أسرع اليه فافتحه بكل ضراوتى ، فوجدت أمامى شبحا مجنونا متهدل الاعضاء نصف مغمض العينين . فتبينت فيه «الفريد» جارى طالب الطب الفاشل : كانت هيئته رثة بفعل عدم النوم طيلة الليلة الماضية ؛ وكان منظره المشوش المبعثر يجعله فى عينى مجرد كتلة آدمية . ولكنه كان خارج هذا المنظر ، يبدو لوسامته كأنه وجه ممتاز حتى : حلو القسمات غزير تعبير الملامح .

كان هذا «الأ فريد» من أم فرنسية وأب سورى مسيحى . وكانت عائلته تقيم فى المغرب ، لهذا اكتسب كبرياء المستعمر وتعاليه . وتحرك «الفريد» بعد تلك الوقفة البليدة الخرساء قائلا : «تأبون الا ان تحملوا معكم قذارتكم الى هنا.» ورمى بجثته داخل غرفته ، ملتجئا اليها ، كأن ذعرا هائلا كان يجثم على صدره ، ولهذا صفق الباب وراءه ، حتى ضج دوى هائل بدد سكون المعبر الطويل الفاتر الظلام . واغلب الظن انه قد أزعج جميع السكان . أما انا ، فغلا الدم فى رأسى ، ورجعت مدحورا الى قعر الغرفة حيث يقبع اسماعيل فى صمت وتخاذل ؛ وكأننى ألتمس عنده العزاء . وهنا فكرت بشماتة :

«هذا «الأ لفريد» الذى بات السرير يئن من تحت جسده وهو يعصر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جسد عشيقته بوحشية؛ فقد كنت اسمع رجع أنينها يلتحم مع انينه البليد المنساب الى مسمعى عبر مسام الجدار الذى يفصلنا . كنت أتأوه فى هذا الوقت ، وأطرد عنى سأم الوحـدة كلما سمعت لهاثهمـا . ولكنهما أبيا الا أن يكونا حيوانين ، بعد تلك الليلة التى أنهكـا ثوانيهـا بحشرجات لا انسانية.» كنت ألقى هذه الافكار ملخصة وبسرعة وعظية الى صديقى اسماعيل ، وكأننى استفز حميته . قال صديقى اسماعيل :

«الآن !؟ جاء دور هذه العضلات.» وأشار الى يده اولا ، ثم الى ساعديه معا ، وتابع : «قذارتنا رغم قذارتها ، فهى لا تتجاوز الصخب . اما قذارتهم، فهى من النوع الذى بت توشى اسماعك به طيلة الليلة الفارطة . اننا حين نتكلم بصخب فنزعج الآخرين ، نتيقن من اننا انحدرنا بطريقة نقية؛ بتدرج سلالى معقول ومشروع . اما هم ، فهم بآدابهم وتقاليدهم يسترون هذه الفوضى السلالية التى يعيشونها.» وثار بحقد على عادته .

كانت الشمس فى هذه الاثناء ، تنبت بفرح على طول استدارة نافذة غرفتى التى كانت تشرف على نصف فناء بيت المغرب فى الحى الجامعى، وعلى الجزء الذى توجد فيه مقهى «الشارلتى» من جادة «جوردان» ؛ ولهذا كنت لا أملك الا ان افرح كلما رتعت الشمس داخل غرفتى المستطيلة ، لاننى أؤكد بذلك للآخرين ، ان تقطيب السماء لوجهها ، كفيل بأن يزرعنى فى دوامة شقاء كئيبة : انه ينقلنى عبر ضبابه وقطعه السحابية المبهمة ، الى مرفأ عابس ، لا أتبين فيه الامراس والاشرعة والصوارى .

* * *

كنت مع صديقى اسماعيل نخطو حبوا على الاعشاب والحشائش الندية فى الساحة الخضراء المواجهة لبيت «الدانمارك» . ورغم ان حذاءينا كانا يتبللان بالماء ، فيتهدل جلدهما ، الا ان انسجامنا فى نفث الحقـد المجنون على هؤلاء المستعمرين ، الذين يعيشون لجثتهم الضخمة فقط ، جعلنا لا نهتم لكل هذا .

كان الجو صحوا ، والشمس تلون حبات الندى المنزرعة على الحشائش

والفسائل الخضر ، فتعطيها معنى مرجانيا أخاذا . ولو لم يكن هناك بعض زخات ريحية ، تجعل المار يلجىء يديه باستمرار الى جيوبه الدافئة ، او يدفنهما فى قفاز ، لكان اليوم الهيا يتمنى ان يحمل فيه على أجنحة خيالية الى حيث يعيش لحظات غيبية يحلم بها المؤمنون .

التفت الى صديقى اسماعيل الذى كان يتابع بعينيه بشغف ساقين عاريتين لفتاة كانت تجرى فى الميدان الرياضى الذى يواجه «دار سويسرا»، وحين رأيتها قلت :

«هذه البضاضة ، لا يمكن ان تسرف على نفسها ، فتنتحر على احجار هذا الميدان الصلد». فاجاب :

«انهن يملأن الفراغ ، فى انتظار مجىء ...»

وقاطعته :

«يجب ان يكون انتظارا مرا ، أليس كذلك ؟».

ـ لما ذا لا أتيح الفرصة لنفسى . ربما كنت انا المنتظر .

ـ لا ! انها اخلاقية .

وضحكت بخبث ، وامتدت دعته برفق ، لتستقر شاشة عينيه على الخضرة الرائعة فوق المبانى ، وعلى سطح الارض الفضاء ؛ فقد كان ذلك منظرا مؤسرا .

كنا نتجول فى اطراف الحى الجامعى ، وكانت خطانا رزينة متأملة ، لهذا كانت تتحسس الارض ، وكأنها ترتشف منها نداوة الحشيش وينوعة الزهور . وحين ضاق بنا هذا الفضاء الرحب ، اتجهنا آليا الى مقهى «الشارلتى» ، فى انتظار الساعة الثانية عشرة ، للذهاب الى المطعم . والواقع اننا كنا قد هيأنا بطوننا لالتهام لحم الديك الرومى الهش ؛ فقد كان اليوم يوم احد ، والمفروض ان صفا طويلا من الطلاب يتمدد باسترخاء خارج المطعم ؛ هؤلاء الطلاب الذين يتأوهون ويتثاءبون حين تغزو انوفهم روائح اللحم الشهى ؛ ولهذا فنحن نبكر ، خوف ان نأكل الفضلات .

كانت مقهى «الشارليتى» غاصة بالطلاب : بعضهم ينحنى بحنو على

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الآلات الكهربائية ، يقتل فيها مله ، وبعضهم الآخر يقبع وراء الصندوق الموسيقى ، يحرك عضلاته بانفعال مع انغام راقصة . وجلست فى باحة المقهى مع صديقى اسماعيل . وهنا واجهته ببرود :

«سوف لا اشتغل بعد الآن ! لا أريد ان أضيف اسما الى قائمة الاشقياء العريضة».

ـ تستطيع ان تفعل ما تريد ! لكن المهندس «جورج» ، ربما ...

ـ لا يهمنى المهندس بقدر ما تهمنى نفسى .

ـ انك أنانى ! ألا تعرف ان موقفى منه ربما اعتراه فتور بسبب رفضك للعمل ؛ اذ ان ذلك ، يكذب ذلك الثناء الذى سقته اليه عنك .

ـ لا تعقد الامور بهذا الشكل ! ان ذاكرتك لا بد ان تسعفك بما يمكن ان يبعدك عن كل هذا . تستطيع ان تقول له : انه حصل على مال من اهله ؛ فوجد انه من العبث ان يشتغل . وتستطيع ان تقول غير ذلك؛ ان اردت .

ـ انك تتمسك دائما بجبنك ؛ فليس المهم هنا ان تعمل ، وانما ان تذهب الى المعمل ؛ اذ يمكن ـ اذا كنت على وفاق مع المراقب ـ ان تضع يديك فى جيبيك طول النهار ، ولا تخرجهما الا ساعة تتلقى بهما راتبك .

ـ هذه خيانة صغيرة .

ـ لا تتمسك بهذه المثاليات ! هذه هى البضاعة الرائجة : (موريس) الشيوعى ، و(ألبير) النقابى لا يفعلان شيئا ، غير انهما يظلان النهار كله فى شجب اعمال حكومتهما وراء البحار ، من غير ان يقدما لها فى بلادهما عملا حاسما تدفع به عنها ذلك التدهور الذى يجثم على مستقبلها . ربما كانا على صواب ؛ اذ انهما يريان ان حكومة مثل هذه ، ليست جديرة بأن يتعب من اجلها . لكن المهم انهما لا يعملان .

ـ اذا كان (موريس) و(ألبير) يختاران ما بين العمل واللاعمل ، فأنا اختار اللاعمل حين أعجز ، اما حين أقدر ، فلا افكر الا فى انى اعمل من غير ان أبحث لحساب من هذا العمل ؟ ما دام العمل شريفا . وأعتقد

ان الانسان لا بد ان يعمل ، حتى فى حالة عمله لحساب مرابين ، ما دام ذلك لا يتناقض مع الشرف ، لانه مأجور عليه . أما ان يؤجر على ما لا يعمل، فذاك خيانة .

ـ لا تفهم من هذا ، ان الشخصين لا يعملان لكونهما متمذهبين ؛ بل ان غيرهما يفعل ذلك . عادة ... مجرد عادة ؛ واذا بحثت ، فستجد ان الحقد الذى يسرى مع الدم فى عروق العمال على الرؤساء المستغلين، له دخل فى كل ذلك .

كانت لهجة صديقى اسماعيل ، ينجاذبها مد وجزر ؛ ورغم كل ذلك ، فلم تكن متحمسة قط . وفى هذه الاثناء ، لمحت شبح «عبده» يزحف وهو يذرع عرض جادة «جوردان» قاصدا المقهى . كان عبده اسمر السحنة ، ضيق العينين ، تنبجس منهما شرارة استهزاء وسخرية ، ورغم انه كان مثقفا ، الا ان جسمه ، لضخامته ، يدرجه فى عداد المصارعين الحاملين «للحزام الاسود» . يسكن فى «البيضاء» ، ويدرس الحقوق ، ويناقش باعصابه وذكائه ، ويأسر بالحجج الذكية التى يتمخض عنها فكره بكل سرعة وعفوية . ولكنه حين يمزح ، يجرح الاحساس ولا يكاد يفعل . ومن ثم يعجز المرء عن ان يتفهم منه ، لانه متأهب فى كل لحظة. واذا عجز عن الاقناع عن طريق الفكر ، فان يديه الخشنتين تتدخلان فتحسمان النزاع فى اقل من ثانية . ولهذا ، كثيرا ما كان يورم أعين الطلبة الفاشيستيين اذا هم حاولوا ان ينالوا من كرامة بلاده . والواقع انه يجمع الى هذه المزايا ، مزية الغيرة الوطنية ؛ اذ يخنقه البكاء بجنون كلما لم يستطع الدفاع عن وطنه بكل وسائله .

حيانى عبده باهتمام ، وصافح صديقى اسماعيل باهمال لانه كان لا يعرفه ، وقال :

«قد انتهت لجنة الطلبة فى بيت المغرب ، من اعداد مناشير نريد توزيعها على الفرنسيين ، لافهامهم حقيقة الوضع فى بلادنا خصوصا بعد مذبحة «البيضاء» . ونحن محتاجون اليك لتوزيع بعضها هنا ... فى الحى الجامعى . لا تهتم لوعيد المدير الذى هدد بطرد كل من يشتغل بالسياسة

فى هذا الحى ! فنحن نعرف كيف نجعله يرجع عن قراره . تشجع !».

وأجبته بلا مبالاة :

«سأقف بها عند المدخل الرئيسى للمطعم ؛ اما المدير فليفعل ما يشاء !».

ـ سيكون معك عبد الرحمن ؛ فان عضلاته القوية ، ستبعد عنك كل سوء .

نعم .., نعم ..

ومد الى رزمة من المناشير ملفوفة فى صفحات جريدة قديمة ، فوضعتها على الكرسى ، وتوجهت نحو صديقى اسماعيل ، بعد ان انصرف «عبده» الى داخل المقهى . كنت أحسنى بطلا ، حتى قبل اقدامى على هذا العمل ؛ فمجرد التفكير فى اننى بعد الاكل ، سأقف وراء باب المطعم أوزع المناشير من اجل قضية بلادى ، ملأنى حماسا . وقلت لصديقى اسماعيل :

«ان عملا مثل هذا ، ليجعل علاقتك بالآخرين فى بلادك الهية . أما فى المعمل ، فانه انتحار رخيص يستجدى فيه الانسان الحياة من غير ان تتاح له الفرصة لينغتصبها اغتصابا ».

ARCHIVE
http://Archivebéta.Sakhrit.com

فاجاب صديقى اسماعيل باقتضاب :

«صحيح ، اننا نعمل كالثيران فى الحقول . نشبع أنفسنا لنجوع ، وهكذا ...» وتابع بغيرة : «أستطيع ان أوزع معك قسطا من المناشير ؛ فهذا يوم الاحد ,

ـ ان عددها ضئيل لا يتطلب اثنين .

وسكت ؛ كنت أريد ان أخص نفسى وحدها بهذا الفخر .

دخلنا الى المطعم ، بعد ان انتظرنا فى صف طويل ؛ وحملنا صحنين مقعرين ، ومررنا بهما ازاء عمال يضعون فيهما اشكال الطعام التى تقدم للطلاب ، واخيـــرا ، دفعنا بطاقـــة صغيرة للعامـل الذى يجلس فى آخر المدى الدى ينتهى عنده السياج الحديدى الذى يفصل صفوف الطلاب الداخلين عن الجالسين على الكراسى يأكلون . وجلست على كرسى صلب

الخشب ، امام صديقى اسماعيل ، لنستطيع ان نبدد بالحديث ضوضاء الصحون الحديدية تتلاطم على سياج الحديد بين ايدى الطلبة ، او فى حوض الغسيل .

كانت ساحة المطعم على اتساعها غاصة بالمقاعد وبالطلاب ، وكانت الضحكات البوهيمية تتعالى من هنا وهناك ، ولكنها تتفتت على صلابة هذه الجلبة العاصفة . وكان فى آخر الصف طالب هندى قد حجب وجهه الصغير من اسفله بلحية طويلة مشذبة بعناية ، ومن فوقه بعمامة ضخمة تتوسطها ماسة لامعة ، ولكنها غير كريمة . والغالب ان رأسه الصغير ، كان يئن تحت وطأة ثقل هذه العمامة البيضاء ، كان الهندى يمشى ببطء فى ذيل الصف ؛ وحين قرب من العاملة التى توزع الصحون ، دوت عاصفة حادة بالطرق بالملاعق والشوكات على سواحل الصحون القصديرية ، وتبع هذه العاصفة هتاف مجنون يردده الطلبة : Chapeau

كان هذا الهندى الذى يومن بتعاليم «بوذا» يرفض ان يعرى للنور شعراته : ان «بوذا» لا يحب ذلك . وكم كان عنيفا حينما واجه اصرار الطرق والهتاف باصرار على ارضاء عقيدة تاريخية فقط . واشتد اللغط والاصرار ، فتدخل مدير المطعم ، وطيب خاطر الهندى ؛ وحين نزعها ، كانت شعراته الكثة مشوشة متزاحمة تكاد فى انحدارها ان تحجب رقبته عن الانظار . وراقبته وهو يحمل صحنه بحنق وفكرت :

«هؤلاء الهنود ! يعيشون زمنين متناقضين فى آن واحد : يدرسون آخر النظريات ، ليبرهنوا بها على صحة عقيدة توهنت مع التاريخ . ورغم انهم يواجهون الماضى ، فيستوحون منه روحانية شفافة . ويواجهون الحاضر بآلاته المكشرة ؛ فانهم يضيعون فى حيرتهم بين الاخلاص لهذا ، أو لذاك».

انتهينا من الاكل ، واحتضنت المناشير تحت ابطى ، وخرجت من المطعم ، ثم اتكأت على جدار الباب الرئيسى من الوراء ، واخذت أحملق فى هذه المناشير ، كنت انظر اليها بود عجيب ؛ فقد كنت أرى فيها لسانا فصيحا يصرخ فى وجوه الطغاة الذين دمروا طعم الحياة فى حلوقنا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتكومت فوقها بكل ثقل ظهرى ، وأنمتها على صفحة صدرى مبالغا فى تدليلها ؛ فقد أحسست نحوها احساسا غريبا عجزت عن تفسيره آنذاك . وبينما كنت أحملق فيها ، رأيت صديقا أرجنتينيا يهم بمغادرة المطعم ، فاعترضت خروجه ، وأبرزت اليه منشورا واحدا ، ولكنه نظر اليه نظرة غير فاحصة ، واعتذر : بانه اذا اراد ان يختصر اقامته فى فرنسا ، فعليه ان يشتغل بالسياسة ، واضاف :

«وانت تعلم ان حكومة بلادى رجعية . ما ذا ينتظرنى منها ؟».

فنظرت اليه بشماتة ، وقلت حاقدا :

«يالها من هروبية ! اننا نتألم مع الشعوب اللاتينية فى أمريكا ، لاننا نعرف مشاكلها ».

وصددت وجهى عنه ، والتفت صوب آخرين ؛ وكم كان فرحى عظيما حين استطعت ان اوزع ما يقرب من العشرين منشورا . وفى هذه الاثناء، لفظ باب المطعم جثة «هرفى» الضخمة ، ورغم اننى كنت اعرف انه ابن معمر فرنسى يقيم فى المغرب ، الا اننى تعمدت ان اعطيه منشورا ، فأخذه وقرأ بجهر :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

«نحن الطلاب المغاربة فى باريس ، نستنكر الاعمال الاجرامية التى قام بها المستعمرون فى البيضاء ...» ولم يتابع القراءة وقهقه :

«هؤلاء المجانين ! يتصورون ان فرنسا من الضعف بحيث تترك الجنة عن طواعية . وبشكل موغل فى الانسانية.» ثم قال موجها كلامه الى :

«تمسك ببلادتك لنفسك ، اذا كنت تصر على أن تكون بليدا».

فلم اجبه ، بل ان لطمة قوية استقرت بعنف على طول استدارة جفن عينه اليمنى ، فتورمت بسرعة فائقة . كان عبد الرحمن أسرع منى فى الجواب . وحين اشتبكا رأيت ساعد عبد الرحمن يهوى عليه فى غير رفق : وبالرغم من ان حيوانيتى انتعشت فى كل جوانحى ، الا اننى شعرت بالتنفيس عن غيظ مكتوم .

وعبد الرحمن ، لم يكن اقل حيوانية من عبده ، فقد كان ذا ملامح

وحشية ، وكان اذا انهال على الصخر بقبضته ، لا بد ان يفتت ويتلاشى . ولكنهما يجتمعان فى انهما من بلد واحد ، هو «البيضاء» ، وانهما يغاران بجنون عن كرامة الوطن ؛ الا ان عبده ، ان ساعده ذكاؤه على النجاح فى الحقوق فعبد الرحمن ، فشل فى دراسة الطب ، من حيث نجح فى اجتذاب النساء بمظهره السادى الفاره .

وحين خرجنا نهائيا من المطعم ، واتجهنا صوب بيت المغرب ، كان بعض الفاشيستيين الجبناء ينظرون الينا بخوف أسطورى . كانت الحيرة تأكلهم ، وتتشبث بملامحهم لتعلن للآخرين حقارتهم بلا هوادة . والحق انهم كانوا يظهرون لى ذئابا خانتها القوة .

كنت اتابع سيرى محاولا ان أكون انسانا لا يهتم بايقاظ الشعور بالشماتة فى نفس خصومه . ولكنه على كل حال ، يمشى مشية من يثق بانتصاره . أما عبد الرحمن ، فكانت خطواته من البساطة ، بحيث كانه لم يخض معركة : كانت كل ملامحه هادئة وفى مكانها من وجهه ، ولكن الذى يشتد فى الملاحظة ، يدرك ان فرحا غير منظور كان يجثو هازئا على الحركة الحاجبية التى كان يأتيها كلما أدار رأسه .

كانت بقية المناشير تعفو تحت ابطى ، من تحت المعطف ، لهذا اشتدت حرارتها بتكاثر الدفء عليها ؛ فكأنها كانت تلح على فى أن اجعلها تشاهد الخضرة التى كانت تبتسم لنا على طول جانبى الطريق . كانت تحتج : اننى ادافع عن قضية عادلة . عن مضطهدين ؛ وافضح تلك الحفنة من الاغاود التى تجوع الانسان لتأكل .

وهنا فارت حماستى ، وقلت لعبد الرحمن شبه صارخ :

«هؤلاء الاوغاد ! انهم أسفل من أن يتعظوا بمناشير ، فليس غير العنف يصلبهم على طريقنا . انهم غابيون . وانت تكون انقى وجها أمام القانون ان أنت محقت غابيا . وعلى كل حال ، فأنت تستطيع ان تضيف الى انتصارات البشرية أملا مرونقا ، ان أنت دفنت هؤلاء فى مستنقعات خربة ، يأنف الانسان ان يراها . أتعرف ؟ اننا نريد ان نمحو اسمهم من ضمير الدهر . أن نجعل الدهر ينساهم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان عبد الرحمن ساهما ، لا تسمع منه غير وقع خطواته الثقيل . ولكنه التفت الى فجأة وقال كأنه يوشوش فى أذنى :

«لا تذهب بعيدا ، فانك حين تورم عين وغد ، تشعر انـــك لست بحاجة الى الكلام ؛ فقد قلت له شيئا ممتعا ، وان كان حيوانيا ».

وهنا قلت موافقا :

«اننى حين أنفس عن غيظ ما ، أستريح ، ما فى ذلك شك ؛ ولكننى لم أفعل الآن ، ولهذا سمحت لغيظى ان تحده الكلمات وتستوعبه الحروف».

كنا قد وصلنا الى بيت المغرب ، وبحركة رخوة شد عبد الرحمن على يدى ، وتزحلق الى الصالون ، كأنه يتزحلق على بساط أبيض ثلجى . والاغلب انه بهذه الحركة ، يضفى على نفسه مظهرا عبثيا ، بعد ما قام به من الحركات العنيفة فى معركته . أما انا ، فذهبت الى «الشارلتى» حيث كنت على موعد مع عبده .

كان عبده مقتعدا كرسيا فى الباحة ، وكان يضغط عليه بكـــل جسمه ، كبرجوازى خانه الدهر . وكان صديقى اسماعيل يجلس وكأنه محاط بعالم من الصمت . وحينما رآنى تهللت أساريره ، وقفز فرحا ، كأنه كان فى انتظار مر طويل، واشرت اليه أن يلتحق بى فى مكان جيوسى مع عبده . ولم يتردد ، بل حمل قامته النحيفة ، وتهالك على مقعد بجانبى، وكأنه يرهف سمعيه . وقلت لعبده :

«لم تخل القضية من مغامرة ؛ فقد اضطر عبد الرحمن ان يكون بارعا فى توريـم عين «هرفى» الفاشيستى . فاجاب عبـده بلهجة فيها وتـر انتصارى رنان :

«قد انتقمت لك بيدى هذه». ـ وأشار الى يمناه مكوما اصابعه فى صلابة كانت تفوح منها رائحة القسوة والعنف ـ .

ممن ؟

ـ من «ألفريد» ! كان يحمل كراسته مبتعدا عن كلية الحقوق ، موازيا «للسوربون» ، وكان معنا طلاب ينتمون الى بلاد مستعمرة، يعينوننا فى توزيع المناشير ، وحين رآنا ، رجع ؛ ولم يلبث ان أتى مصحوبا بخمسة

طلاب ذوى قامات حيوانية ؛ واغلب الظن انهم ابناء معمرين من المغرب ، او من الجزائر ، لان شمسنا الدافئة لوحت ملامحهم ، فأحالتها الى سمرة مختلطة ببقايا شقرة . هؤلاء الخمسة ، كانوا مثالا لانسان بلا انسانية ، للنبتة البرية الافاقة التى فقدت خصائص تربتها ، لانها جمعت مزيجا من الخصائص . واشار «الفريد» الينا ، فارتمى هؤلاء الخمسة علينا بوحشية؛ أما انا فلم يبق لى غير ان كبرت بصراخ ـ وضحك باستهزاء ، كأنه كان يريد ان يخفف من هول المغامرة ، لانه كان يريد ان يظهر سهولتها بالنسبة اليه على الاقل . وحين ارتميت على «الفريد» واعملت فيه حقدى ، تخيلتنى سيفا بتارا يجول على سطح الاعناق فى معركة عنترية قديمة . والغالب ان «الفريد» لن يخرج الى النور قبل بضعة ايام . فالبقع الدمائية السوداء التى تجعل من وجهه لوحة تجريدية ، لن تسمح له بذلك ، قبل ان تصفو، وتتحول الى بياض كان اجمل ما فى بشرته .

ـ والخمسة الآخرون ؟

كان استفهامى ساذجا ، لهذا أجاب عبده عن سؤالى بطفولية وبسرعة:

«نفس المصير بالضبط ... ان قبضة صديقنا السينغالى ، اعنف من اللطم بالحديد . كان هو الشخص الوحيد الذى بدد جرأة هؤلاء الخمسة كانت المعركة صامتة : لا صراخ ولا استعطاف ؛ كان الكل متمسكا برجولته. أما افظع منظر ، فهو ذاك الذى قمت به . لقد دحرجت واحدا من هؤلاء الخمسة بلكمة . وحينما تكوم بجسمه متكئا على الباب الحديدى العريض للسوربون ، عاجلته بقذفة من رجلى اليمنى . استقر كل عنقها فى ما بين ذقنه وخديه . اننى أقدر ان هذا الطالب ، لا يمكن ان يأكل فى هناء ، الا اذا زار طبيب الاسنان ».

ـ يا للفظاعة ! لو كنت مكانك ، لما جرؤت ان أختطف حاسة مهما كانت طفيفة من انسان ، ولو أراد ان يختطف منى حياتى . ليس هـذا ضعفا ؛ وانما هو انسانية : اننا لا نحارب الغابية بالغابية ».

ـ ولكنك على كل حال تتحرش . تدافع عن الكرامة .

ـ ليس الى هذا الحد .

كان صديقى اسماعيل يصغى الينا بكل انسانية . وقال :

«أشعر بكثير من الارتياح ؛ لقد ذاق «الفريد» من قذارتنا ، بينما ألفنا ان نحمل من قذارتهم . اننا نلغ فى عرضهم كل يوم ، ونجد فى ذلك بعض راحة».

وواجهته بغضب :

«انك اذ تفسر قذارتهم هذا التفسير ، تصفع انسانك بكل دناءة : صحيح انهم يعيشون فوضى اخلاقية ، ولكنهم اخلاقيون حتى فى فوضاهم؛ فنساؤهم يزاولن انسانيتهن معك او معى او مع الآخرين فى غرفنا ، وليس لانهن حيوانات ، ولكن لانهن يؤكدن عن طريق مباشر ، انهن يعلنن سخطهن على الفلسفات اللونية التى تعيش فى أدمغة الخرافيين من ابناء جنسهن . انهن يولينك الثقة ، ويغدقن عليك الحب ، ويتعلقن ببدائيتك التى لا زالت بقاياها تتلصص عليك ، فتقفز على بعض تصرفاتك . انك حين تلغ فى اعراضهن ، تلغ انسانك بكل قيمه ومثله فيهن . ولهذا ، فلا غبن بالنسبة اليهن».

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ هذه الفوضى عندهم ميراث ؛ فمنذ لويس الرابع عشر ، و...»

وتدخل عبده مقاطعا :

«هذه الفوضى الاخلاقية ، هى التى خلقت لنا رجالا من نوع «بودلير». وهم انفسهم لا يرون فيها كبير خطر على المجتمع الفرنسى ؛ اذ لا زال الناس يتوالدون ، ولا زالت الاشعاعات من هنا تنبثق .»

ورد صديقى اسماعيل :

«لا يمكن ان يقنعنى هذا التبرير».

وقلت :

«انك تقليدى فى فلسفتك الاخلاقية».

وتدخل عبده ايضا :

«هذه الفوضى التى تستمرئها». ـ وعزز فكرته بضحكة شامتة ـ

ورد صديقى اسماعيل :

«استمرئها لانها تنفيس اولا ، وانتقام من غرورهم هناك وراء البحار ثانيا».

ورددت محتدا :

«ان انتقامك بدون معنى ، ولا يحمل فى نفسه تبريره ؛ اذ لا تستطيع الانتقام من «بول» لان المجرم «برنارد» . سخافة . أليس كذلك ؟

قام عبده . حاملا المناشير ، وتحرك يخطو خطوات الذين يشعرون بأهميتهم ، لانهم يفعلون شيئا من اجل الآخرين . وغاب وراء ظل شاحنة كانت تذرع جادة «جوردان» . اما انا ، فنظرت الى صديقى اسماعيل نظرة اشفاق ، لانه لا زال يحتفظ بأفكار من هذا النوع ، فى بلاد من غير النوع الذى ألفه . وقلت له : «عملتك زائفة ! كيف تعامل «فيوليتا» ؟ اننى أعتقد انك لو واجهتها بهذه الافكار ، لما استطعت ان تضع راحتك الخشنة على الزغب الخوخى الذى ينبت بروعة على ظهرها . يجب ان تعيش الافكار التى تعتنقها بكل صراحة».

ـ اعترف انى فى طريق التخلص من الرواسب . ليس ذلك سهلا كما تظن ».

وهنا قلت له ، كمن تذكر شيئا ضائعا :

«اننا نريد ان نحصل على المال ؛ فقد قمنا بعمل».

فأجاب فى كثير من الثقة :

«اليوم ، بعد الساعة الرابعة مساء . سنذهب معا عند المهندس اليهودى الذى يدير الشركة».

احدثت كلمة «يهودى» دويا غير مسموع فى دماغى ، وأيقظت فى نفسى كثيرا من الصور المرة التى عشتها فى بيت المغرب : مر أمام عينى شريط مقطب ، وأخذت افسر بيقظة جميع الحركات التى كان الطلاب اليهود يقومون بها : اجتماعاتهم فى غرفة «طوليدانو» من اجل قضايا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صهيونية . مشاغبتهم لكل الحركات التى تتمخض عنها الاجتماعات السياسية للطلاب المغاربة . وقوفهم من حركة المقاومة للاستعمار موقفا سلبيا احيانا ، ومعاداتهم للمطالب الوطنية العادلة احيانا أخرى . وكرر صديقى اسماعيل كلمة «يهودى» مرة أخرى ، وضغط على أسنانه ، واخرجها فى شبه صفير ، كأنه كان يعطى لكل حرف من هذه الكلمة سيولا من المرارة والحقد . وفكرت :

«ان هؤلاء اليهود ، ما وجدوا الا ليحققوا الاسطورة الاستعمارية . لماذا هم بالذات ؟ لما ذا لا يكون غيرهم ؟ هل هذه الميزة سماوية الى هذه الدرجة؟»

وسألت صديقى اسماعيل باندهاش :

«لماذا لاك لسانك واسنانك كل حروف كلمة «اليهودى» ، كما لو كنت تمضغ العلك ، متعمدا ان تخرج كلماتك على شفتيك محتقرة مغصوبة النبرة ، مهيضة الانين ؟»

فأجاب بهوس :

«أعنى ما اقول . انهم أنانيون يضحون بسعادة العالم من اجل أسطورة . أسطورة فقط ».

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقلت بتحد :

«لكننا نستطيع التفريق بين يهودى وصهيونى».

كان الزبد الابيض الكثيف يثب من بين شفتيه ، فيبلل أطراف وجهه ، وحين يرسو على بعض شعرات لحيته الغير المحلوقة يذوب ، وكأنه قطعة سكر فى ماء حار ، وقال :

«أفهم من هذا ، انك من الذين يحلو لهم ان يقسموا ليميزوا ويوضحوا ؛ لهذا ، فهم لا يمانعون فى ان يخرجوا الى شوارع باريس متظاهرين ضد العنصرية التى تعادى «السامية» .

فأجبت بنبرة هادئة أقصد بها تهدئة اعصابه :

«تلك حركة اعقبت الحرب الكونية الاولى والثانية ؛ وكان الفرنسيون بالذات يحاربون من خلالها النازية ، وكل دعوة عنصرية . ورغم اننى

لا أمانع فى ان أتظاهر ضد العنصرية المعادية للساميـــة . ـ أنا وانت ساميان . أليس كذلك ؟ ـ الا أننى أصـر على التفرقـة بين اليهـودى والصهيونى .»

وخفت صوتى . كنت أرمـى من وراء هـذا الخفوت الى ان ننهـى هذا الحديث ؛ فقد خفت ان نشتبك فى حوار سعيرى يلتهم وقتنا ، ومن ثم تفوتنا فرصة الحصول على الراتب ، فننتظر الى اسبوع آخر . ولهذا نبهت صديقى اسماعيل بعد خفوت صوتى مباشرة :

«لم يبق كبير وقت على ...»

واجاب متحركا حركة من فاته آخر قطار :

«نعم . ان النقاش يلتهم الوقت ».

انحدرنا الى الشارع متلاصقين ، كأن كل واحد منا يتخلص بجبن من الصقيع ليلصقه بالآخر . ولم نكن نفعل ذلك لنظهر ذلك الانسجام الالهى الذى يحتضننا ؛ ولكن دفئينا كان يغزران ويتفتحان امام لزوجة السحابات الثلجية التى ترتطم بأنوفنا فتعصرنا بصقيعها . لهذا ، فهما يطردان عنا تلك الارتعاشات الكئيبة التى تعترى جسمنا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان المطر ينهمر خيوطا متواصلة ـ رغم ان الوقت صيف ـ على السطوح والشوارع ، وعلى صمت الحيطـــان التى يتشبث بها الطحلب الاخضر الذى يتحول الى سواد فحمى ، وعلى القبعات الانيقة التى تتلقى القطرات الشتائية الضخمة باحتمال عجيب . كنا نسير تحت هذا الوابل مسرعين ، كأننا نبحث عن ملجأ . واذ كان علينا ان نقضى وقتا قبل ان نصل الى محطة «الميترو» فقد تبللت ثيابنا وبردت حتى فقدت ذلك الرواء الذى تضفيه علينا ونحن فى حلقة مثلا ؛ اذ صارت مجرد خروق نجعلها فوق جسومنا . ولم نعد نحس بأننا تحتها كائنات تتحرك فتملأها دفئا ؛ بل كنا مجرد شىء فى غلاف . وهنا تذكرت تلك الدموع السخينة المخلصة التى ذرفها الشعراء الرومانتيكيون ، على الريش المخملى الذ ى يفقد روعته من جسم الطائر حين تبلله الشتاء بقطراتها الثقال . وكنت مستعدا فى هذا الوقت أن أسخر من نفسى لو كنت شاعرا مثل «كيتس» يبكى قبرة خنقتها

عبرات مطرية ، ودكتها زوابع خريفية . وتأملت :

«ان الانسان هو الذى ينبغى ان يكون المقياس لكل شىء ؛ فحقد الشتاء بالقياس الى الانسان ، حقد قاسى . وهو لا شىء بالقياس الى الطير ، لان الطير لا يعنى شيئا . ومن غير الانسان فى هذه الكواكب ؟ ان الذين يبكون حتى العمى على ضعف طائر امام العواصف ، أجدر بهم أن يسووا مشكلة عرى الانسان امام الطبيعة ، وامام الحقيقة ».

وتنفست معبرا عن الارتياح الذى فاح من كل أجنحتى ، حين وجدتنى تحت سقف محطة «الميترو» . كان صديقى اسماعيل ينفض قطرات المطر العالقة بثوب معطفه المخملى ، ويدك حذاءه على الارض ، لتنفصل عنه تلك البقع الوحلية التى تعلقت به اثناء السير . أما انا ، فحين انحدرت بعينى الى المدى الذى تقف فيه رجلاى ، رأيت ان سروالى يكاد لونه يذوب تحت وطأة تلك البقع الطينية التى تناثرت على جزئه الاسفل فى فوضى هائلة. لهذا، داهمنى خجل احمرت له وجنتاى، فقد كنت أخشى ان تخوننى الاناقة فى لباسى الطلابى؛ اذ من خلالها كنت أؤكد شخصيتى ، واعتقد ان كل الاجانب فى باريس ، لا يجدون غيرها ليلفتوا اليهم الانظار ، انظار... ولم يبد على صديقى اسمعيل انه اهتم لهذا الخجل الذى ظهر على سروالى ووجهى ، ولكنه لاحظ بشكل عابر :

«انك لا تحسن المشى» .

ولم يكن فى استطاعتى ان أجيبه ، لانى لا احسن المشى فعلا : اننى أحس برجلى ترتفع بدون هوادة ، وتلقى بثقلها على الارض بضغط شديد: فكأنهما سوط يرتفع ليهوى على الظهر قاسيا متابعا حركته فى لا مبالاة بوهيمى . ولم أفكر فى ان أرجع الى البيت ، لالبس سروالا آخر ؛ اذ المأساة ستكرر ، والوقت سيضيع .

صعدنا العربة الاخيرة من«الميترو» واهيلت علينا الباب، وصفقت تصفيقا يألفه جميع الذين يركبونه كل يوم . فغمرنى اللاوعى بغفوة يقظة ؛ كانت تبدو على ملامحى نشوة معربدة . لهذا ، لم انظر الى «الميترو» وركابه كما نظرت اليهما قبلا، بل عشت لحظاتى داخله، وكأننى لا أعيشها؛ اذ لم أجد

فيه ما يثير . وربما يكون ذلك ، لاننى مللت من ان أفلسف الاشياء ، وهى تظهر لى بمنتهى البساطة ، فلا فائدة فى ان تجعل الصخرة الصامتة تنحسر عن منطق يعقلن الاشياء ، ولا جدوى فى ان تهب الكلمات شفافيتها لدرجة انها تعبر عن المنظور واللامنظور . لمن كل هذا ؟ لهم ؟ انهم لم يفهموا ولن ... هذا صديقى اسماعيل ؛ لما ذا لا يفهم ما ورائية الاشياء ؟ لما ذا يفهم الانسان وكأنه آلة الآلة . لانه يسيرها ، ويشرف عليها . اذن ، لا جدوى من وراء هذا النظام المرعب ؛ لان هؤلاء الذين لا يفهمون ما ورائية الاشياء ، صيروا وجه العالم تافها رديئا .

نزلنا فى محطة «الليكسمبورغ» وكنا صامتين : كل واحد يناجى عالمه الخاص فى اهتمام متواصل وقلت :

«أين توجد الادارة ؟»

فأجاب ببرود :

«فى شارع «ليزير سلين» خلف محطة «الليكسمبورغ» .

ـ شىء رائع ان تحصل على المال وتنفقه فى نفس المكان الذى حصلت عليه فيه».

وقررت بلهجة حاسمة :

«لن نتعدى جادة «سان مشيل» ففيها كل شىء» .

ـ موافق .

وسكتنا . ولم نتكلم الا حين كنا نصعد درجا خشبيةمتهرئة تقودنا الى مكتب المدير اليهودى ، بعد ان اجتزنا باحة عريضة تقبع فيها هنا وهناك، اسلاك كهربائية من نحاس بال ، بينما يتربص للداخل فى قعرها هيكل قديم لسيارة هرمة ، علا الصدأ الاحمر كل حديدها ، فكأنه منتشر على بشرتها بغير نظام .

وفى غرفة المدير ، كانت الدقات الرتيبة للآلة الكاتبة يختلط نشيجها، بتلك الابتسامة البلهاء التى كانت تطفر بشكل مفتعل من بين شفتى كاتبة كانت جميلة حين كان فى امكانها ذلك . ولو لم يكن المدير يهوديا لا يهتم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بغير الاسهم والدخل ، لما كان لهذه الكاتبة مكان هنا ؛ فقد اخذ الترهل يستقطب كل معالمها . وحتى اظافرها الطويلة ، فقد كانت هزيلة وسخة

جلست على كرسى مريح قبالة المدير ، واقتعد صديقى اسماعيل كرسيا آخر مواجها لباب الدخول ، وقال بدون ان يتعب نفسه فى البحث عن ديباجة يرصع بها مبدأ كلامه :

«لن يشتغل صديقى حماد بعد الآن».

فالتفت الى المدير قائلا باشفاق ممقوت : Pauvre Etudiant

وتحديته بعينى قائلا :

«ليس ذلك جبنا . لقد استغنيت . فأنا لى اهل كالآخرين ! ألست تدرى ذلك ؟ »

وقال بكبرياء :

«انتم طلاب الفلسفة ، تفكرون بدل أن تعملوا . ومع ان التاريخ الحضارى لا ينساكم ، الا أن أحدا لم يجرؤ يوما ان يضع افكاركم فى حيز التطبيق ؛ اذ بها كثير من الهوس».

علمت انه يفصح عن جهل كبير ، لهذا تغاضيت عن الاهانة التى وجهها للفلسفة ، لانى لا أستطيع ان ادعى لنفسى حق الدفاع عنها ؛ لكننى اجبته على الشطر الثانى من فكرته :

«كيف نفكر ولا نعمل ؟ كيف تفهم ذلك ؟ »

فرد وكبرياؤه كان لا يزال عالقا بالخيط الذهبى الرفيع الذى يحيط بزجاج نضارته الابيض :

«انك حين تشتغل بالمطرقة ، لا تتجه بتفكيرك بطريق مباشر الى النتائج العملية التى تقوم المطرقة بها ، بل تفكر فى ماهيتها : لما ذا كان رأسها حادا ، رقيقا أحيانا ، ومشققا أحيانا أخرى ؟ ولما ذا كان ظهرها غليظا مسطحا ؟ »

وقلت له بكثير من الجرأة :

«ان كثيرا من الذين يعملون و لايفكرون ، يرون العالم من خلال ثقبة الدرهم : فالاشكال المخلوقية ، عندهم لا يمكن ان تكون غير اوراق

النقد . فاذا كنا نبحث عن الماهية فى بحثنا عن الشىء ، فأنتم ـ وجعلته فى صميم المعركة حين وجهت اليه الاتهام ـ تبحثون عن اللاشيئية فى الشىء . انتم تغدقون على الوجود عدما أخرس كئيبا . انتم تبحثون فى الدوائر والمثلثات عن اشياء تجعل من المستحيل على الانسان ان يحقق حلمه فى بناء مدينة مثالية يعمها السلم والاخاء . انتم باكتشافاتكم تهدمون الامل الذى عاش فى صدر الفيلسوف منذ أفلاطون الى الآن . الاصل فى اسعاد البشر يكون عن طريق الفكر المسالم».

وبدا السأم على ملامح صديقى اسماعيل والمدير ؛ فقد كان جوابى محاضرة اكثر مما كان حوارا فى مناقشة . ورغم هذا السأم ، فقد تأكدت انه من المستحيل عليهما ان يقولا شيئا مهما ، ما دمت قد دافعت عن الفلسفة بكثير من حضور الوعى والفهم .

وسكتنا لحظات قصارا ، استرجع صديقى اسماعيل اثناءها هدوءه ، والقى الى المدير بلهجة ترتيلية

«هو يريد ان تدفع له حسابه . اما انا ، فراتبى فقط . لاتنس أن تقتطع منه ما ينوب الضمان الاجتماعى !»

كان المدير اليهودى فزما منتفخا كمنطاد ، ولولا انه كان يمسك قلما مذهبا بين أصابعه ويحسن الكتابة به ، لكان من الممكن ان يكون جزارا بلد احساسه كسر العظام والجماجم . وكانت ملامحه بارزة من المكان الطبيعى الذى يجب ان تكون فيه : عيناه جاحظتان وراء النظارة البيضاء، يتحديان حتى فى حالة جبنهما عن التحدى . اما خداه ، فبروزهما وامتلاؤهما جعلانى أراهما لم يخلقا لغير الصفع . أما اسنانه ، فلها لون طحلبى ، وذلك لادمانه الخمر والتدخين .

والواقع ان المدير ، كان مثالا للرجل الذى يتحرك بأزرار :/ فهو اقرب الى ان يكون انسانا «اليكترونيا» منه الى انسان يحس ويتألم .

وخرجنا نطفر بخفة عجيبة . كانت الفرحة تنط من عيوننا ، لتستقر على خدودنا المحمرة بفعل حرارة مكتب المدير ؛ اذ تتسلق ركنه المقابل للباب مدفأة كهربائية ضخمة .

انطلقنا نتعثر بالاشياء وبالناس . فما احسن ان يكون جيب الانسان مليئا ، وهو يتسكع فى شوارع باريس .

نشاط اتحاد كتاب المغرب العربي

• نظم **اتحاد كتاب المغرب العربي**، فى شهر جانفيى، اسبوعا حول المسرح ضمن نشاطه الثقافى لسنة 1964/63 . وقد افتتـــح الاسبوع بمعرض (بدار الفكر) للالبسة والديكور المستعمل فى مسرحيات مغربية سبقت مشاهدتها، كما عرضت صور لاهم الفرق المسرحية التى كانت تزاول نشاطها قبل الاستقلال حتى الآن . كما عرضت نصوص مسرحيات مغربية ودراسات ومقارنات .

وقد اشتمل الاسبوع على محاضرتين القى اولاهما الاستاذ عزيز الشغروشنى عن المسرح والجمهور ، والقى الاخرى الاستاذ عبـد الله شقرون عن ندوة (فيلاجيو) المتعلقة بمشاكل المسرح العربى المعاصر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كما نظمت مناقشات حـول المشاكل التى يعانيها حاليا المسرح ببلادنا مثل التاليف والاخراج ...

وفى الاخير شوهدت فصول من روايتى «التمتام» من تاليف الاستاذ أحمد الطيب العلج ، و«الحظ» من اقتباس الاستاذ محمد عفيفى . وتبودلت حول المسرحيتين مناقشات بين المشتغلين بالمسرح واعضاء الاتحاد .

* * *

• استقبل اتحاد الكتاب ، فى الاشهر الاخيرة ، أدباء وكتابا مـن افريقيا وآسيا وأوروبا ، فزارنا رئيس جمعية الصحافيين الافارقة ونشاهد فى الصورة التالية العميد الاستاذ م. ع. الحبابى يقدم مجلة «آفاق» الى الضيف الكريم بمحضر الكاتب الاول بالسفارة السينغالية بالرباط .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

• واستقبل الاتحاد اخيرا الاستاذ كاكيا أستاذ الادب العربى باحدى جامعات ايكوسيا، وقد نظم له اتحاد الكتاب عدة اجتماعات استطاع فيها الزائر الكريم ان ياخذ عدة معلومات حول الحركة الفكرية ببلادنا .

* * *

• وزارنا ايضا اعضاء من اتحاد كتاب الصين الشعبية وقد خص لهم الاتحاد استقبالا بدار الفكر حضرتها مجموعة من السفراء ، وعلى راسهم سفير العربية السعودية الاستاذ خير الدين الزركلى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صورة عامة للكتاب الصينيين مع بعض أصدقاء الاتحاد واعضائـــه

* * *

• نظم المسرح الجامعى تحت رعاية اتحاد كتاب المغرب العربى امسية شعرية تليت خلالها قصائد لشعراء افريقيا الشمالية الذين يكتبـــون بالفرنسية ، وقد نالت الامسية اعجاب الحاضرين . ومن الشعراء الذين تليت قصائدهم :

من الجزائر : كاتب ياسين ، مولود فرعون ، ومالك حداد

من المغرب : للعميد الاستاذ محمد عزيز الحبابى ، كمال زبدى

* * *

• قضى الاستاذ عبد الكريم غلاب عضو اتحاد كتاب المغرب العربى أسبوعا بليبيا كان حافلا بالاتصالات والنشاط الثقافى (سنعطى عنها ملخصا فى العدد القادم) .

* * *

• توجه العميد الاستاذ م. ع. الحبابى من اتحاد الكتاب الى لبنان، فى أواخر السنة المنصرمة حيث شارك باسم المغرب فى مؤتمر العلوم السياسية . وقد قام الاستاذ العميد بعدة اتصالات فى بيروت عرف خلالها بنشاط اتحاد كتاب المغرب العربى ، كما تحدث فيها للصحافة والتيلفزيون عن مشاكل الفكر العربى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نرى من اليمين الى اليسار الاساتذة :
جركيس وجميل جبر وسعيد عقل والحبابى ومحمد التازى الى جانب حرمه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نرى فى هذه الصورة الاساتذة
يوسف غصوب وتوفيق صائـغ و عويدات وبولاد وأديبـات لبنانيات

* * *

• صدر اخيرا بمشاركة كلية الآداب والعلوم الانسانية واتحاد كتاب المغرب العربى وجمعية قدماء تلاميذ ثانوية محمد الخامس بفاس كتاب حول ابن خلدون يضم المحاضرات التى ألقيت فى مهرجان ابن خلدون فى شهر مايو سنة 1962 باللغة العربية والفرنسية والانجليزية والاسبانية.

طبع الكتاب فى الدار البيضاء على مطابع دار الكتاب .

وبهذه المناسبة نزف الى علم قراء «آفاق» ان كلية الآداب والعلوم الانسانية بجامعة محمد الخامس ستنظم فى الايام المقبلة بالتعاون مع اتحاد كتاب المغرب العربى وجمعية قدماء ثانوية مولاى ادريس بفاس مهرجانا مماثلا يتضمن ابحاثا ودراسات عن حياة شكسبير وآثاره .